البعد الحضاري في السنة النبوية

يتحدث فيها

المفكر الإسلامي/ أ.د. محمد عمارة

تقديم

أ.د. رفعت العوضي

الثلاثاء الموافق ١٨/٤/٢٠٠٦م

أ.د. رفعت العوضي/

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مرحبًا بأستاذنا الكبير الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ومرحبًا بكم في هذا اللقاء الذي نختم به موسمنا الثقافيّ لهذا العام، وكما تعرفون أن هذا الموسم تم تخصيصه لموضوع "السنة النبوية" وندعو الله -سبحانه وتعالى- أن نكون قد وُفِقنا خلال هذا العام أن نقدم شيئًا يشفع لنا عند سيدنا رسول الله r وتنتفع به الأمة.

موضوع المحاضرة التي سيتفضل بإلقائها أستاذنا الدكتور/ محمد عمارة عن "البعد الحضاري في السنة النبوية" ولعلكم تلحظون أن هذا الموضوع هو ما نختم به هذا الموسم الثقافي.

لا أحب أن أتحدث عن الجانب الحضاري للإسلام وقضية الحضارة وحوار الحضارات بيننا وبين الغرب في حضور أستاذنا الدكتور محمد عمارة لكن أحببنا أن ننتهي بهذا الموضوع كخاتمة للقول في موضوع السنة النبوية في هذا العام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا أطيل عليكم وإنما أرحب بأستاذنا الدكتور محمد عمارة ولا أستطيع أن أقدم له فأنتم تعرفونه جميعًا فهو رجلٌ حمل هموم الدعوة وحمل هموم الأمة وواحد من كبار المفكرين في هذا العصر الذين يقودون الفكر الإسلامي.

واستسمحكم بأن أقول شيئًا بسيطًا عنه فهو ليس عالم فقط وإنما نحن في أمتنا دائمًا نفخر بالعالم العامل وأستاذنا الدكتور محمد عمارة هو من العلماء العاملين وهذه صفة يجب أن أذكرها في الذين لم يقفوا عند حد أن يكتبوا فقط وإنما هم خاضوا أمورًا كثيرة جدًا في مجال الفكر وفي مجال الدعوة ولازال.

فليتفضل أستاذنا الدكتور محمد عمارة في إلقاء محاضرته عن البعد الحضاري في السنة النبوية وأستسمحكم الوقت الذي يراه هو ٤٥ دقيقة هو زمن المحاضرة وبعد المحاضرة نفتح الحوار لمدة نصف ساعة والوقت المتاح لأستاذنا كما يرى فليتفضل.

أ.د. محمد عمارة/

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة وسلامًا على سيدنا رسول الله **r** وعلى آله وصحابته أجمعين. اسمحوا لي أبدأ الحديث معكم بطرفة حقيقية كان الشيخ محمد عبده -عليه رحمة الله- عندما يُلقي درس في تفسير القرآن في الجامع الأزهر فكان يقول أنه يذهب متوكلاً على الله ولكن ما يجعله يحسن القول أو يسيئه هو الجمهور فعندما ينظر للجمهور يوحي له بضر أو يجد الجمهور غير متجاوب فيجعله لا يحسن القول لكني أرى اليوم أن الجمهور -إن شاء الله- واعٍ ومدرك لأهمية الموضوع، وأنا لا أكتمكم السر أنا غير متخصص في علوم السنة، طبعًا السنة بالنسبة لي حاضرة في كل ما أكتب لكن من جانب التخصص الأكاديمي لست متخصصًا في هذا المجال ولكني إن شاء الله سأعتمد على الجمهور فيما يفتح به الله -سبحانه وتعالى- في هذا المقام.

تعريف السنة

سنقف أولاً كمنهج علمي عند المصطلحات فقبل أن نتحدث عن الموضوع لابد أن نحرر مضامين المصطلحات لأنه قد يتحدث العلماء عن أشياء ويكون في ذهنها شيء، والسامع في ذهنه شيء آخر، فالمصطلح مثل الإناء كل الناس تشرب فيه ولكن يُختلف فيما بداخله.

ما هو مفهوم المصطلح أو معنى المصطلح؟ هو الذي يختلف عليه وهو ما يسبب مشكلات كثيرة بالذات عند الحديث عن المصطلحات والمفاهيم التي لها نظائر في الحضارة الغربية، فعندما نتحدث عن السياسة فنجد لدينا مفهوم السياسة والغرب لديه مفهوم السياسة، حتى الدين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لنا مفهوم للدين والغرب له مفهوم للدين، الإقطاع عندنا له مفهوم وعند الغرب له مفهوم وهذا ما جعلني ألفت ضمن ما ألفت كتابًا حول "معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام".

كلنا نعرف تعريف السنة أنها هي الطريقة فسنة رسول الله r هي طريقة رسول الله، فيها قول، وفيها فعل، وفيها إقرار هذا هو التعريف الدقيق، السنة في جوهرها وفي معناها هي تطبيق رسول الله r للقرآن الكريم مثلما كان الشيخ الغزالي -عليه رحمة الله- يتكلم عن من يسمون أنفسهم قرآنيين ويقول أنهم أغبياء فهم يتصورون أن الرسول بمثابة ساعي بريد وصّل رسالة دون أن يعيها، إنما القرآن نجد لدينا بلاغ قرآني وبيان نبوي للبلاغ القرآني، والسنة هي البيان النبوي للبلاغ القرآني فالله -سبحانه وتعالى- أنزل الكتاب وتعهد بحفظ الكتاب ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩) هذه مهمة الذات الإلهية أنزل الكتاب وتعهد بحفظه، ولكن إقامة الدين عُهدت هذه المهمة لنا حيث قال تعالى: ﴿أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ (الشورى: ١٣) أي أن التطبيق أي السنة النبوية هذه هي مهمة رسول الله r أنه حول هذا القرآن إلى بيان عمليّ في أرض الواقع، جسد البلاغ القرآني حياة مدنية وحضارة ولذلك فإن هذا هو بداية الخيط والبعد الحضاري للسنة النبوية هو التطبيق النبوي للبلاغ القرآني، ونرى ذلك عندما سُألت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله قالت: "كان خلقه القرآن" تحول القرآن إلى خلق إلى سجايا إلى طبيعة، وأحيانًا أضرب مثلاً بمن يقود السيارة فعندما يتدرب على القيادة تتحول القيادة لشيء بدهي فقد يشرد قليلاً ولكنه يظل قائدًا للسيارة ويتحكم فيها لأنه أصبحت جزء من طبيعة الإنسان أنه يمارسها حتى بدون تفكير فتحولت إلى طبيعة وإلى سجية، والرجل الذي يتحلى بحسن الخلق فهو يمارس الخلق دون أن يفكر في أن هذا الخلق سيؤدي به إلى الجنة أو سيبعده عن النار فأصبح جزء من طبيعته أنه لا يتصرف إلا بالسلوك الطيب فتحول القرآن إلى خلق لرسول الله r هذا هو التطبيق النبوي والبيان العملي لرسول الله r الذي وضعه للقرآن الكريم هذا هو معنى السنة النبوية.

فقد أُنزل القرآن لكنه لم يكن مجرد كتابٍ موجود بين دفتيه سور وآيات فهو ليس كتاب في الفلسفة وليس كتاب نظريات ولكنه تحول إلى واقع وإلى مدنية وإلى حضارة. وهذه الخصيصة لم تحدث إلا لرسول الله r بين الأنبياء والمرسلين فكل الأنبياء والمرسلين لم يقم أحدهم بإنشاء دولة ومدينة وحضارة وتاريخ فكل هذا غير موجود حتى فكرة التاريخ -والتاريخ جزء من الحضارة وجزء من العلوم الحضارية- فعندما نتساءل أين يوجد سيدنا موسى عليه السلام؟ نحن نعرف أنه توفى بمصر في سيناء لكن أين قبره، وأين التاريخ الحقيقي؟ كل هذا غير موجود حتى أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام وكل الأماكن التي نسمع عنها كلها مجرد اجتهادات تقريبية ولكن الدين الوحيد الذي أصبح له تاريخ دقيق مكتوب موثق هو الشريعة الإسلامية والرسالة المحمدية رسالة رسول الله r وبالطبع كل ذلك لحكمة إلهية، لماذا؟ لأن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا هو الدين الخاتم، الدين الخالد، الدين الوارث لكل النبوات والرسالات السابقة ولذلك لابد أن يكون التوثيق فيه قائمًا.

ولكي يعيش الدين ويظل موجوداً كان لابد من وجود دولة لأن الدولة والخلافة تعريفاتها عند علمائنا أنها "نظام السلطة والسلطان الذي يحرس الدين ويساس بهذا الدين" فبدون الدولة من الممكن أن تكون أي دعوة من الدعوات، فعندما تجد شخص لديه أفكار جيدة ولا يجد من يحفظ هذه الأفكار ويطبقها تضيع الأفكار، ولو نرى عدد الأئمة الفقهاء الذين كان لهم مذاهب نجد أن عددهم كبير جدًا فلماذا الأئمة الأربعة هم الذين اشتهروا؟ لأن هناك من حفظ مذهبهم وتحول المذهب إلى كيان وإلى فرقة وجماعة إلى علماء إلى مؤسسة...الخ ولذلك نجد أن شخص مثل الليث بن سعد كان فقيهًا وكان أفقه من الإمام مالك لكن أصحابه لم ينهضوا به وبالتالي لم يتحول فقهه إلى مذهب كما تحول أبو حنيفة والشافعي والإمام أحمد والإمام مالك.

إذن الإسلام –لأنه الدين الخاتم، لأنه الدين العالمي، لأنه الدين الخالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها- تحول إلى كيان حضاري وإلى مدنية وإلى ثقافة لأنه خطابه للقلب، فقمة إقامة النصرانية أن تكون راهبًا أي تعتزل الدنيا وتعيش في مغارة وجبل وأشياء من هذا القبيل، ولكن الإسلام دين لا يقام إلا في جماعة، لا يقام إلا في وطن، لا يقام إلا في نظام، لا يقام إلا في دولة. لماذا؟ لأنه جمع بين التكاليف الفردية وبين التكاليف الاجتماعية، فلدنيا مثلاً تكاليف فردية ولكن هناك أيضًا تكاليف اجتماعية فالزكاة مثلاً فريضة وركن من أركان الإسلام لا تقام الزكاة إلا إذا كان هناك من يعطي ومن يأخذ ومؤسسات وعاملين عليها ونظام ويكون هناك تنمية للزكاة... الخ، الجهاد لا يقام إلا في أمة وفي جماعة وفي قيادة وفي إمامة وفي دولة... الخ، حتى التكاليف الفردية في الإسلام إذا أديت في جماعة يكون ثوابها أكبر فالصلاة تكليف فردي لكن إذا أوديت في جماعة يكون ثوابها أكبر، والحج تكليف فردي ومع ذلك فإنه يؤدى في مهرجان في مؤتمر في موكب إذن الإسلام من خصائصه وهي جزء من الحضارة المدنية أقام حضارة منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام فالفترة المكية كانت فترة تأسيسية وقد امتدت ثلاثة عشر عامًا شملت إعادة صياغة الإنسان بالتربية وتحويل الإنسان من إنسان جاهلي إلى إنسان مسلم. عندما تكونت الجماعة وأعيدت صياغة الإنسان جاءت موضوع الدولة وتأسيس الدولة حتى أولوا العزم من الرسل غير رسول الله محمد **r** لم يُقم أحد منهم دولة ولا نظام...الخ

أقسام السنة النبوية

نأتي لكي نستكمل تعريف كلمة ومصطلح السنة هناك نقطة هامة جدًا يغفل عنها كثير من الناس ذوي الثقافة الإسلامية وهي فكرة أقسام السنة النبوية فلكي نعرف السنة لابد أن نعرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أقسام السنة النبوية لأن هذا يسبب خلط لدى كثير من الناس وأريد أن أحيل إلى بعض المراجع التي تحدثت عنها:

فهناك سنة تشريعية، وسنة غير تشريعية. فهناك سنة متعلقة بالسياسة والسياسة من الفروع ومن المتغيرات إذن الأحاديث التي وردت في السياسة ليس بالضرورة أن تكون ملزمة للوقت الراهن.

السنة جزء منها دين فالسنة مفسرة وشارحة للقرآن المنزل من عند الله، وهناك سنة متعلقة بأمور متغيرة ليس بالضرورة أن تكون ثابتة أو دائمة فالدين تعريفه هو: "وضع إلهي ثابت"، إذن الدين لا يتغير بتغير الزمن والمكان، والشريعة الإسلامية أيضًا وضع إلهي لا يتغير لكن انظر مثلاً إلى الفقه الذي هو علم الفروع يتغير بتغير الزمان والمكان وباجتهادات الأئمة والمصالح والاحتياجات.

إذن هناك فارق بين ثبات الدين وبين تغير علوم الفروع، العلوم التي هي أصول وهي من أصول الدين الثابت التي هي أصول الإيمان وأركان الإسلام...الخ، ولكن الفقه الذي هو علم الفروع هو عبارة عن اجتهادات الفقهاء المحكومة بثوابت في الشريعة الإسلامية فهي ليست أي اجتهادات وليست قانون نابليون إنما لابد أن تكون محكومة بثبات الشريعة وبأصولها.

إذن السنة فيها أنواع وسأضرب بعض الأمثلة الواقعية لكي نقرب الموضوع إلى الذهن فالرسول r كان يمارس أمورًا – نحن قلنا أن السنة هي القول والفعل والإقرار - وكانت له أفعال ليست دينًا بمعنى أنها ليست ملزمة للمسلمين على مر الزمان والمكان، مثلاً في الطعام كان يحب أشياء ولا يحب أشياء أخرى هل هذا دين؟ لا. فمثلاً عندما يقول الرسول: "خير اللحم ما جاور العظم" هل معقول أن نذهب جميعًا للجزار ونطلب ما هو بجانب العظم باعتبار أنه سنة؟ لا يمكن، كان هذا بحكم العادة والبيئة التي نشأ فيها r ، هناك أشياء يألفها وأشياء لا يألفها فعندما مثلاً عن **ابن عباس رضي الله عنهما قال: أهدت أم حفيد خالة ابن عباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم اقطا وسمنا وأضبا فأكل النبي صلى الله عليه وسلم من الأقط والسمن وترك الضب تقذرا قال ابن العباس فأكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان حرامًا ما أكل على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (صحيح النسائي).**

وورد في حديث ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه الصحيح، وحديث أم سلمه: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم له ضب فقالت أم سلمه: أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدم له، فأخبروه فرفع يده صلى الله عليه وسلم، قالوا: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: لا. ولكن أجد نفسي تعافه. وفي لفظ: لا أجده في أرض قومي. فالضب لا يعيش في مكة ولا في جبال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مكة، والرسول صلى الله عليه وسلم عافته نفسه؛ لأنه لا يوجد في أرض قومه، ولذلك قال أهل الطب: أنفع ما يأكله الإنسان لصحته ما ينبت في أرضه من النبات وما يعيش من الحيوانات في أرضه.

ونحن لم يحرم لدينا في الفقه الإسلامي لحم الخيل، ولكن ليس من طعام أهل مصر ولذا لن تجد نفس تهفو إليه، الكلاب عند كثير الفقهاء حلال وفي الفقه الإمام مالك كنا ندرس بيت شعر يقول:

وليس عند مالك يعاب أن تؤكل الحيات والكلاب

فالكلاب والحيات تؤكل ولكن هناك عادات في المجتمع وهي ليست ديناً فهناك من يأكلها وهناك من لا يأكلها لكنها ليست ديناً بحيث أننا نقول أن هذا حلال أو حرام.

الزي مثلاً الجزء الأكيد فيه ومن أسس الدين أنه يجب أن يستر العورة فهذا دين، إنما أن يكون عمامة أو أبيض أو غير أبيض أو بنطال كل هذا لا علاقة له بالدين وليس ثابتًا، فالبلدان الحارة يمكنها أن تتصرف بطريقة والبلاد الباردة تتصرف بطريقة أخرى ولذلك نجد أن الرسول r في عاداته لبس أنواعًا كثيرة من الأزياء مثل الجبة الرومية والجبة الفارسية...الخ.

إذن هناك أشياء في فعل رسول الله أي في طريقته أي في سنته هي دين وهناك أشياء ليست دين وإنما هي بحكم العادات والتقاليد، بحكم الجبلة والطبيعة بالنسبة للإنسان فهذا علم من العلوم ولكنه علمٌ يكاد يكون مجهولاً بالنسبة للمثقفين المسلمين والناس أحيانًا تتصور أن كل حديث موجود لابد أن تكون ملزم بتنفيذه لكن من كتب في هذا الفن من الفقهاء والأصوليين ومن أبرزهم إمام من أئمة الفقه والأصول في المذهب المالكي وهو مصري وهو القرافي (أحمد بن إدريس القرافي)[1] له كتاب نفيس من أنفس الكتب التي كتبت في أنواع

---

(١) القرافي (٦٨٤ هـ - ١٢٨٥م). أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي: من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة من برابرة المغرب وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة.

له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق - ط) أربعة أجزاء، و(الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام - ط) و (الذخيرة - خ) في فقه المالكية، ست مجلدات، واليواقيت في أحكام المواقيت - خ) في الرباط (١٦٠ ك) انظر المنوني (الرقم ٣٦٢) وشرح تنقيح الفصول - ط) في الأصول و (مختصر تنقيح الفصول - ط) و (الخصائص - خ) في قواعد العربية، و(الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة - ط) (١) قلت: وكان مع تبحره في عدة فنون، من البارعين في عمل التماثيل المتحركة في الآلات الفلكية وغيرها، نقل عن كتابه (شرح المحصول) قوله: بلغني أن الملك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السنة النبوية وأقسامها اسمه "الإحكام في التمييز ما بين الفتاوى والأحكام وتصرفات القاضي والإمام" فقسم السنة إلى: فتاوى، وأحكام للقضاة، وتصرفات الإمام بحكم السياسة (والإمام هو الخليفة)، هذا كتاب، نجد أيضًا من علماء الحديث والأصوليين هندي اسمه ولي الله الدهلوي[١] له كتاب اسمه "حجة الله البالغة" هذا الكتاب طُبع في مصر قديمًا وكان الشيخ سيد سابق -عليه رحمة الله- وضع له تحقيق عقد فيه فصل وأسماه أقسام العلم النبوي سجل فيه ما قلته: إن السنة منها ما هو دين يؤُخذ من الكتاب ويُطبق بدون سؤال أحد، ومنها ما هو تصرفات في السياسة في العادات في التقاليد في الأعراف هذا ليس دينًا ولست ملزمًا بها وسأضرب لكم أمثلة في هذا.

ومن الذين كتبوا في السنة التشريعية وغير التشريعية الشيخ ابن عاشور[٢] -عليه رحمة الله، الشيخ علي الخفيف -عليه رحمة الله- وفي دار نهضة مصر في سلسلة التنوير طبعت ما كتبه الشيخ ابن عاشور والشيخ علي الخفيف، وأعددت دراسة، وكذلك أعد الدكتور محمد سليم العوا دراسة أخرى وأصدرناها في كتيب بعنوان "السنة التشريعية والسنة غير التشريعية" هذا لمن لا يريد أن يقرأ للقرافي وغيره يجد تقسيم أنواع السنة في هذا الموضوع، وأيضًا نشرنا كتيب صغير للشيخ الخضر حسين وكان عالم فاضل عن "السنة والبدع" في نفس السلسلة الخاصة بنهضة مصر وهؤلاء من الممكن أن يعرفوا ما معنى أقسام السنة وأن فيها جزء دين شرح للرسالة للدين الثابت وفيها أشياء أخرى ليست دينًا تتغير بتغير الزمان والمكان وسأضرب أمثلة واقعية على السنة أنها ليست دينًا وليست ملزمة وليست ثابتة وليست خالدة.

الكامل وضع له شمعدان كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه، وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك، فإذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان، وقال: صبح الله السلطان بالسعادة، فيعلم أن الفجر قد طلع.

قال: وعملت أنا هذا الشمعدان، وزدت فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة، في كل ساعة لها لون، فإذا طلع الفجر طلع شخص على أعلى الشمعدان، وإصبعه في أذنه يشير إلى الأذان، غير أني عجزت عن صنعة الكلام. المصدر. المكتبة الشاملة.

(١) الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (١١١٤ - ١١٧٦ هـ). المصدر. المكتبة الشاملة.

(٢) **محمد الطاهر بن عاشور** (تونس، ١٢٩٦ هـ/١٨٧٩-١٣٩٣ هـ/١٩٧٢) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس [١] ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته. المصدر. ويكيبيديا الموسوعة الحرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نماذج من السنة

الرسول **r** عندما كان يحارب كان يقسم الجيش ميمنة وميسرة وقلب، هل نحن اليوم عندما نحارب نقسم الجيش كتقسيم الرسول له حتى نقول إننا نريد تطبيق السنة. أرى أن ذلك لا يجوز فالأوضاع تغيرت وأسلوب الحروب تغيرت ونوع السلاح المستخدم تغير فبعض الحروب تدار ولا تلتقي فيها الجيوش عن طريق القصف المدفعي أو الصاروخي بعيد المدى، فالرسول كان يقسم الجيش بالطريقة التي تحقق المقصد، أما نحن اليوم فنقسم الجيش تقسيمات جديدة ليس لها علاقة بتقسيمات رسول الله **r** فهذه سنة أي فعل لرسول الله **r** ولكن ليست ملزمة وليست دينًا.

مثال آخر الرسول **r** يقول في حالة الحرب: "من قتل قتيلاً فله سلبه"[1] من قتل شخص يأخذ متعلقاته أما الآن عندما يوقع جندي طائرة فهل يأخذها؟، أو عندما يصيب دبابة هل يأخذها؟ لا يستطيع أحد أن يقول ذلك فهذه من الأمور السياسية والحربية والفروع والمتغيرات التي ليست دينًا ثابتًا وبالتالي ليست جزءًا من الدين الثابت فعندما أقرأ هذا الحديث في كتاب لا أطبقه، وإنما أسأل إمام الوقت الحالي والدولة الحالية عن رأيهما في هذا الموضوع.

حديث آخر: **أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَكْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنِي هَنَّادُ بْنُ السَّرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدَةُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُرْوَةَ**

---

(١) الحديث السابع: عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين -، وذكر قصة - فقال رسول (ص ٦٩١) الله صلى الله عليه وسلم: من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه - قالها ثلاثا .

الشافعي :يرى استحقاق القاتل للسلب حكما شرعيا بأوصاف مذكورة في كتب الفقه، ومالك، وغيره: يرى أنه لا يستحقه بالشرع، وإنما يستحقه بصرف الإمام إليه نظرا، وهذا يتعلق بقاعدة، وهو أن تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في أمثال هذا: إذا ترددت بين التشريع، والحكم الذي يتصرف به ولاة الأمور: هل يحمل على التشريع أو على الثاني؟، والأغلب: حمله على التشريع، إلا أن مذهب مالك في هذه المسألة فيه قوة؛ لأن قوله عليه السلام: من قتل قتيلا فله سلبه. يحتمل ما ذكرناه من الأمرين - أعني التشريع العام، وإعطاء القاتلين في ذلك الوقت السلب تنفيلا - فإن حمل على الثاني: فظاهر، وإن ظهر حمله على الأغلب - وهو التشريع العام - فقد جاءت أمور في أحاديث ترجح الخروج عن هذا الظاهر مثل قوله عليه السلام - بعدما أمر أن يعطى السلب قاتلا، فقابل هذا القاتل **خالد بن الوليد** بكلام - قال النبي صلى الله عليه وسلم بعده "لا تعطه يا خالد" فلو كان مستحقاً له بأصل التشريع: لم يمنعه منه بسبب كلامه لخالد فدل على أنه كان على وجه النظر فلما كلم خالدا بما يؤذيه استحق العقوبة بمنعه، نظرا إلى غير ذلك من الدلائل. شروح الحديث إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام ابن دقيق العيد دار الجيل سنة النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً، فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ"..[1] فالإسلام كان يُحدث تنمية وكانت الأرض صحراء فكان يشجع الناس على زراعة الأرض، واليوم هل يمكن أن يذهب أحد للصحراء الغربية ليستولي على الأرض بحكم سنة رسول الله ويقول إنه يقوم بتطبيق الحديث؟!.

إذن هناك سنة يمكن تطبيقها بدون سؤال الحاكم موجودة في البخاري ومسلم بدون تطبيق وهي سنة مرتبطة بأصول الدين مثل أن نقول كيف نتوضأ أو كيف نصلي أو كيف نصوم؟ كل هذه سنن عبارة عن دين لا نحتاج فيها أن نستأذن أحد، إنما هناك سنن في الفروع السياسية والمتغيرات التي هي جزء من التاريخ، جزء من الحضارة، جزء من السياسة ولذلك قبل أن نطبقها نسأل الإمام.

السنة والقضاء

القضاء عندما تقرأ السنة النبوية تجد مؤلف اسمه "الأعظمي"[2] جمع "أقضية رسول الله **r**" أي القضايا التي عُرضت على رسول الله وقضى فيها باعتباره قاضي والرسول في حيث: **(حديث مرفوع) أنا الْقَاضِي أَبُو الْعَلاءِ الْوَاسِطِيُّ، ثنا أَبُو زَيْدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَامِرٍ، بِالْكُوفَةِ، نا أَبُو الطَّيِّبِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَّازُ الْجُعْفِيُّ، نا هِلالُ بْنُ الْعَلاءِ، نا مُحَمَّدُ بْنُ خَضِرٍ الْبَزَّازُ، نا مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، نا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اخْتَصَمَ رَجُلانِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ صَاحِبِهِ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ".**[3]

قوله: «ولا يحكم بعلمه» يعني لو تخاصم إليه اثنان، وهو يعلم أن المدعي صادق فيما ادعاه، فهل يحكم بعلمه؟ المؤلف يقول: لا يحكم بعلمه، ولو كان يعلم مثل الشمس أنه صادق؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: إنما أقضي بنحو ما أسمع. ولم يقل: بنحو ما أعلم، فجعل

---

(١) رقم الحديث: ٨٢٦ (حديث مرفوع)، موسوعة الحديث – إسلام ويب.

(٢) الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي عبد الله، عالم هندي، حصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر وعنوان رسالته: أقضية النبي صلى الله عليه وسلم، ونوقشت في عام ١٣٩٧ وكانت بإشراف العلاّمة محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى..

(٣) حديث رقم ٦١٤، موسوعة الحديث، إسلام ويب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحكم مبنياً على الأمور الحسية الظاهرة؛ لئلا يكون القاضي محل تهمة؛ لأنه إذا حكم بعلمه قال الناس: حكم لفلان على فلان، وهو مدعٍ بدون شهود فيتهمونه.

ثم لو فتحنا الباب وقلنا: إن هذا القاضي من أعدل عباد الله ولا يحكم إلا بالحق، يأتي قاضٍ آخر ويحكم بالباطل، ويقول: هذا الذي أعلمه! وهذا ممكن، فلو فتح الحكم للقاضي بعلمه لفسدت أحوال الناس؛ لأنه ليس كل إنسان ثقة، فَسدُّ الباب هو الأولى. فإذا تحاكم إليَّ خصمان وأنا أعلم أن الحق مع المدعي علم اليقين؛ لأن المدعى عليه جاء عندي البارحة وأقر، فماذا أعمل؟ أحوِّل القضية إلى قاضٍ آخر، وأكون شاهداً.

وظاهر كلام المؤلف أن القاضي لا يحكم بعلمه مطلقاً، ولكن هنا ثلاث مسائل استثناها العلماء، قالوا: إنه يحكم بعلمه فيها: الأولى: عدالة الشهود وجرح الشهود، فإذا كان يعلم عدالة الشاهدين حكم بشهادتهما بدون طلب تزكية، وإذا كان يعلم جرحهما رد شهادتهما بدون جارح؛ لأن هذا ليس حكماً مباشراً حتى يتهم القاضي فيه، وإنما هو حكم بسبب الحكم، أو حكم بالذي ينبني عليه الحكم.

الثانية: ما علمه في مجلس الحكم فإنه يحكم به، مثل أن يتحاكم إليه اثنان، وفي أول الجلسة أقر المدعى عليه بالحق، ثم بعد ذلك أنكر، فيحكم عليه؛ لأنه ما زال في مجلس الحكم، وقد سمع من المدعى عليه الإقرار فوجب عليه أن يحكم به، حتى لو أنكر بعد ذلك ما يقبل.

الثالثة: إذا كان الأمر مشتهراً واضحاً بيناً، يستوي في علمه الخاص والعام، القاضي وغيره، فهنا يحكم بعلمه، مثال ذلك :اشتهر في البلد أن هذا الملْك وَقْفٌ على الفقراء من أزمان طويلة، فجاءت ذرية الواقف، وقالوا: هذا لنا، هذا لأبينا ولجدنا، وكان القاضي يعلم كما يعلم سائر الناس أن هذا الملْك وقف، فهنا يحكم بعلمه؛ لأنه مشتهر والاتهام منتفٍ، ودخول من لا يوثق فيه – أيضاً- منتفٍ"[1] معنى ذلك أن القضاء النبوي ليس وحيًا وليس معصومًا كما هو الحال في القرآن لأنه يقضي بناءً على المدعي والمدعى عليه فمن الممكن أن يكون الشخص كاذب ويغش في مرافعته ولذلك حذره رسول الله **r** لأن القاضي لا يقضي بعلمه، وبالتالي لو أن لديك قضية أو مشكلة بالضبط مثل المشكلة الموجودة في كتاب أقضية الرسول فلا تقل أن الحكم هو الحكم الذي قضى به رسول الله **r** وإنما تسأل قاضي عصرك وزمانك، وكل هذه الأمور ذكرها "القرافي" وذكرها "ولي الله الدهلوي" في موضوع إحياء

---

(١) زاد المستقنع، كتاب الإيمان والقضاء والشهادات والإقرار، شريط رقم ١٠ الوجه ب شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين. [219] رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، رقم (٧١٦٩)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم (١٧١٣) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأرض الموات، وفي موضوع تنظيم الجيش، وفي كثير من الأمور السياسية، وفي العادات، وفي التقاليد، وفي الجبلة، وفي الطعام، وفي الأزياء، بما في ذلك تربية اللحية فمن يقول إن تربية اللحية من الدين هذا ليس صحيحًا "فأبو جهل" كان لديه لحية. السنة التي هي دين والتي يتميز بها الدين الإسلامي ولا توجد في غير الدين الإسلامي إنما القسيس يربي لحيته والحاخام يربي لحيته وأبو جهل كان مربي لحيته وهذه جزء من كمال الرجولة في مجتمع النبوة حتى الإمام "أحمد بن حنبل" كان يعتبرها جزء من الزينة بالنسبة للإنسان.

إذن هناك أشياء تميز بين ما هو دين ثابت وضع إلهي ثابت وإذا لم تفعله فهو حرام، وبين الأمور التي لها ارتباط بالعادات والتقاليد والأعراف مثل الأزياء والسياسة وما شابه.. فهذه هي معنى السنة وأقسام السنة النبوية وكيف أن السنة النبوية فيها هذا البعد الحضاري.

مصطلح الحضارة

المصطلح الثاني هو مصطلح الحضارة –فقد قلنا البعد الحضاري- وهنا أريد أن أقف معكم لأن هذه النقطة موضع خلط فعندما ترجع إلى أي قاموس أو أي موسوعة لمعرفة معنى الحضارة ستجد أن هناك معاني مختلفة لأن المضامين والمفاهيم الغربية غزت مصطلحاتنا وعقولنا، فالدين معناه لدينا هو وحي إلهي، ولكنهم يعتبرون الدين إفراز للعقل البشري.. نحن نعتبر التوحيد بدأت به الإنسانية مع سيدنا آدم عليه السلام، وهم يعتبرون التوحيد مرحلة من مراحل ارتقاء العقل البشري بعد مرحلة الوثنية.. فكثير من المصطلحات حتى المصطلحات الشائعة تجد أن مضمونها الغربي مختلف عن مضمونها الإسلامي، السياسة عند مكيافيللي[1]

---

(١) كما أن تعريف ميكافيلي للسياسة قد ألغى فكرة الحكم المقدس أو الخطة المقدسة. فمن خلال التخلص من رؤية العصور الوسطى باعتباراتها الأخروية، ورفض التركيبة الأروسطية وأفكار المصدر الإلهي للقانون والعدالة وضع ميكافيلي نظرية خالصة للسياسة مستندة على القوة وفضل أن يركز على الاستيلاء على القوة والاحتفاظ بها بغض النظر عن أخلاقية الوسيلة. وخلال كتاباته لم يهتم ميكافيلي كثيراً باستخدامات القوة وبدلاً من ذلك كان تركيزه على كيفية الاستيلاء على القوة والتمسك بها. لذا كانت القوة بالنسبة له غاية في حد ذاتها ولا تحتاج إلى أية تبريرات، كما أن القوة تحقق ما لا يمكن أن تحققه الثروة أو الشهرة، فالقوة تضمن فرصًا لا نظير لها لتحقيق الذات، والقوة تخلق مقدرة متعاظمة لمزيد من التوسع ولذلك فالقوة أساسية لتحقيق الطموح الإنساني. واعتقد ميكافيلي أن الطموح هو المسئول الأول عن الخلافات المستمرة بين الأفراد والدول وأن هناك نضال وخلاف مستمر في مجال سياسي مزدحم وفوضى دولية، وفي هذا الوضع يصر ميكافيلي على أن الفرد البطل هو الوحيد القادر على إعادة النظام والقضاء على الفوضى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الحضارة الغربية هي "فلسفة القوة والغاية تبرر الوسيلة"، ولكن عندنا مثلما يقول "ابن القيم" "هي التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد" أي أنها مرتبطة بالقيم والأخلاق إذن المضامين الخاصة بالمصطلحات بما في ذلك مصطلح الحضارة هناك من يقول أنها هي المدنية أو أنها هي الثقافة...الخ.

الحضارة في المصطلح الإسلامي -وهذا منهج نتعلمه- فعندما أقوم بتأليف كتاب أو كتابة مقال وأمامي مصطلح من المصطلحات ما هو المنهج الإسلامي والعربي؟ لمعرفة مضمون المصطلح

أولاً أرجع إلى معناه في القرآن؛ لأن القرآن هو كتاب الأمة الأول مثل كتاب العربية الأول فالنحو يقاس على القرآن ولا يقاس القرآن على النحو... فأرجع لمعنى المصطلح في القرآن ومعنى المصطلح في السنة وفي الشعر العربي وفي التراث اللغوي العربي هذا هو المنهج العلمي لعلماء الإسلام كيف يفسر المصطلح، وكيف تتعامل مع المصطلح؟.

بالنسبة لمصطلح الحضارة بهذا المنهج ما هو معناه؟ نرى في القرآن الحديث عن ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ وهذه هي المرة الوحيدة التي ذكر فيها هذا المصطلح في القرآن الكريم، إذن الحضارة من الحضور من الاستقرار ولذلك فإن الحضارة المقابل لها هي البداوة لأن البداوة فيها ترحال فلا يوجد تراكم معرفي وبناء معرفي مع الترحال فالشاعر أو القبيلة تقيم هنا اليوم وغدًا تذهب بحثًا عن المرعى تنتقل من مكان إلى مكان، فالبداوة من الممكن أن يكون فيها ثقافة ولذلك فإن الشعراء في الجاهلية وفي البداية كانوا مثقفين ولديهم حكمة وكانوا

وفي كتابه "الأمير" الأكثر شهره يحدد ميكافيلي المهام الجسام التي تواجه البطل، فالأمير يجب أن ينشئ دولة جديدة وليس أقل من ذلك، بعد أن ثبت لديه عدم جدوى قيم الكنيسة فضلاً عن أن الظروف المتدهورة لا يمكن التغلب عليها إلا من خلال عمل جبار بإرادة سياسية. لذا كان إنشاء دولة جديدة يمثل ضرورة حيوية، إلا أن ميكافيلي يعترف بأن "ليس هناك أصعب، أو أكثر غموضاً فيما يتعلق بالنجاح، أو أكثر خطورة للقيام به، من خلق نظام جديد للأشياء.

لذلك أصر على ضرورة فصل السياسة عن الأخلاق، والقيم والدين، كما أكد على أنه لا ينبغي أن يقيد استخدام القوة من خلال القيم السائدة، بل أن طبيعة السياسة تتطلب في الغالب تجاهلاً لكل ما يعتبر جيداً أو سيئاً، لأن الأمير الذي يتقيد بالمبادئ الأخلاقية سيكون في وضع سلبي جداً في النزاعات مع الأمراء الآخرون الذين سيتجاهلون الاعتبارات الأخلاقية من أجل تحقيق طموحهم، ولذا فإن الظروف المتقلبة للحياة السياسية تتطلب من الأمير أن يتخلى عن مبادئه إذا أراد الحفاظ على سلطته. وعند القيام بالمهمة الحاسمة لإنشاء دولة جديدة يجب على الأمير أن يكون قادراً على التكيف مع الظروف المتغيرة التي لا يحكمها إي قيّم. الفكر السياسي خلال عصر النهضة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يكتبون أشياء عظيمة... عندما نقرأ المعلقات وغيرها. ولكن لم يكن لديهم حضارة لأنهم لا يملكون الاستقرار الذي يقيم بناء معرفي وتراكم معرفي.

إذن الحضارة لابد أن يكون فيها ثقافة ولابد أن يكون فيها حضور واستقرار. وتعرفون أن مصر منذ أيام محمد علي كان هناك ما يسمى بـــ "توطين البدو" فالبدو كانوا يستقرون في القرية، فالقرية من القرار والاستقرار. فالحضور ﴿الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إذن يلزم للبناء الحضاري ولبناء حضارة أن يكون لدينا ثقافة ومدنية واستقرار.

ما هو الفرق بين الثقافة وما بين المدنية؟ الثقافة هي كل ما يعمر النفس الإنسانية. المدنية هي كل ما يعمر الواقع المادي فلدينا علوم مدنية من زراعة وصناعة وتجارة، كل الأمور التي تزين وتعمر الواقع الذي نعيش فيه، أما الثقافة فهي كل العلوم والآداب والفنون التي تعمر الوجدان والقلب والنفس الإنسانية. والمدنية والثقافة عندما يتوفرا في مجتمع مستقر تكون الحضارة قد تكونت بكل أبعادها وبكل ميادينها.

نحن الآن عرفنا السنة وأقسامها وعرفنا معنى مصطلح الحضارة.

إنشاء الدولة في عهد النبي r

وكما قلت فإنه دون دولة لا يمكن أن يكون هناك حضارة ولذلك فإن الدولة أصبحت جزء من السنة النبوية أي أن البعد الحضاري للسنة النبوية بدأ بتكوين الدولة، وكما قلت إنه في المرحلة المكية كان الجزء الهام هو بناء الشخصية ولذلك فإن الصناعة الثقيلة في المرحلة المكية كانت هي صناعة الإنسان، ولذا أول مؤسسة في المرحلة المكية كانت هي دار الأرقم ابن أبي الأرقم -مؤسسة تربوية- ولكن قبل الهجرة تأسست الدولة، والجزء الخاص بتأسيس الدولة يمثل عامود أساسي في بناء الحضارة الإسلامية وللبعد الحضاري للسنة النبوية وسأقف حولها قليلاً لأني سأقول كلامًا ليس إدعاءً ولكن هناك أشياء جديدة فتح الله عليّ بها واكتشفتها ولم يتحدث فيها غيرنا بشكل واضح أو قد يكون هناك من تحدث ولكني لم أقرأ عنها.

الرسول r عندما حوصر في مكة وظل ثلاثة عشر سنة كل من آمن به وصمدوا أقل من مئة شخص -لكي نعرف مدى الجهد الذي حدث في تأسيس وتثبيت النعمة التي ننعم بها الآن، وأصبحنا الآن مليار ونصف مليار بالرغم من أننا غثاء كغثاء السيل- وسأضرب مثلاً عندما استأذن "عمرو بن العاص" "عمر بن الخطاب" في فتح مصر وكان عمر بن الخطاب مترددًا وليس سبب التردد مثل ما ذكر المؤرخون حتى لا يكون هناك فاصل بحري بين الجيش وبين العاصمة هذا ليس هو السبب وإنما لأن الرومان لديهم في مصر مائة وعشرين ألف جندي بِعُدد لا نظير لها وحصون ورائها حصون وكانت هذه هي المعركة الفاصلة ولذلك فإن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين قاموا بفتح الشام والعراق والخليج وفارس في عام واحد بينما فتح مصر استغرق خمس سنوات لأن هرقل أدرك أن هذه هي المعركة الفاصلة فإذا سقطت الإسكندرية ضاع مُلّك الروم فهذه كانت العاصمة لهم.

عمرو بن العاص عندما استأذن عمر كان عمر بن الخطاب مترددًا لأن المعركة ليست سهلة ولكنه أشار على عمرو بن العاص بأن يأخذ أربعة آلاف من الجنود ويتوكل على الله ودار هذا الحديث في الشام أثناء فتح مدينة القدس، وأشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه سوف يشاور الصحابة عند رجوعه للمدينة، وعلى ضوء تلك الشورى سيرسل له خطاب إما أن يأمره فيه بالرجوع قبل أن يدخل مصر، وإذا كان دخل مصر فليتوكل على الله.. فعندما جاء عمرو بن العاص بجيش قوامه أربعة آلاف ودخل معركة الفرما[1] وغيرها من المعارك إلى أن وصل إلى بلبيس ثم عندما وصل إلى حصن بابليون في مصر القديمة وجد أمامه قوات وحصون كبيرة فأرسل لعمر بن الخطاب يطلب منه المدد فرد عمر بن الخطاب بأنه سيرسل له أربعة آلاف آخرين وسيرسل أربعة من الصحابة كل منهم بألف فيكون المجموع اثنا عشر ألف - فالعدد ليس معيار -

أعود لموضوع الدولة ونشأتها، قبل الهجرة من مكة إلى المدينة فتح الله على رسوله بعد عام الحزن –وهو العام الثالث قبل الهجرة الذي توفيت فيه السيدة خديجة -رضي الله عنها- وأسماه المسلمون عام الحزن أي حداد سنة كاملة من أجل السيدة خديجة وهذا يبين لنا دور المرأة في الإسلام- فالعام الثالث كان عام الحزن وأراد الله –سبحانه وتعالى- أن يفتح أمام رسول الله r فتوحات لا حدود لها أولاً في العام الذي يليه كان الإسراء والمعراج وفتح أمامه أبواب السماء، وفي نفس العام جاء الأوس والخزرج لأداء فريضة الحج وقابلهم الرسول وبايعوه على الإسلام في بيعة العقبة الأولى وطلبوا منه أن يرسل معهم الصحابي مصعب بن عمير ليعلمهم القرآن الكريم. واجتهد مصعب بن عمير اجتهاداً كبيراً في نشر الدعوة

---

(١) لما بلغ المقوقس مجيء جيش المسلمين إلى مصر أرسل جيشًا لملاقاة عمرو، فتلاقيا على الفرما فكان أول قتال. والفرما: مدينة من أقدم الرباطات المصرية بقرب الحدود الشرقية لمصر، وكانت في زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق؛ لأنها في طريق المغيرين على مصر اسمها القديم "بر آمون" أي: بيت الإله آمون، ومنه اسمها العبري "بَرَمُون"، والقبطي "برما"، ومن هذا أتى الاسم العربي وهو الفرما، وسماها الروم: "بيلوز"، ومعناها الوحلة؛ لأنها كانت واقعة في منطقة من الأوحال بسبب تغطية مياه البحر الأبيض لأراضي تلك المنطقة، وكانت الفرما تستقي الماء قديمًا من الفرع البيلوزي للنيل، وقد اندثرت هذه المدينة وتعرف اليوم آثارها بتل الفرما، على بعد ثلاثة كيلو مترات من ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى بعد ٢٣ كيلو مترًا شرقي محطة الطينة الواقعة على السكك الحديدية التي بين بورسعيد والإسماعيلية. موقع قصة الإسلام، من الفرما إلى حصن بابليون http://www.islamstory.com/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلامية ولذلك سمي بأول سفير في الإسلام و بدأ الإسلام ينتشر في المدينة فأسلم أبناء عمرو بن الجموح وأسلم بعدها عمرو بن الجموح ثم أسلم الطفيل بن عمرو وهو سيد قبيلة دوس وذهب الطفيل يدعو في قومه حتى أسلمت قبيلة دوس جميعاً وأتى بهم يبايعون الرسول r وأنتشر الإسلام انتشار هائل في هذا العام.

وفي العام التالي في بيعة العقبة الثانية في العام الثالث عشر من الدعوة الإسلامية أتى من المدينة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من قبيلتي الأوس والخزرج فجلسوا مع الرسول r واتفقوا مع الرسول r على تأييده وبايعوه على أن يحموه كأبنائهم وإخوانهم ولهم الجنة، ودعوا الرسول ليلحق بهم في يثرب، واتفقوا معه على الدولة، ويقع مكان تلك البيعتين في المكان الذي نرمي فيه الجمرات، ولذلك فقد أعددت بحثًا عن "فقه المكان" وكيف نحن بحاجة لمعرفة معاني الأماكن التي نذهب إليها ونتذكر من خلالها كيف ضحى الرسول في سبيل نشر الدعوة فنحن نذهب مثل السائحين ولكن أن تعرف ما هي العقبة التي ذهبت عندها لرمي الجمار وما الذي حدث فيها؟ وهو عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى وحضر هذه الجمعية العمومية خمسة وسبعون شخصًا من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتين وهذا يعني أن المرأة مارست أعلى مستويات الولاية السياسية قبل أربعة عشر قرنًا وليس كما يثار حالياً من بعض الناس في هذه الأيام حول موضوع هل تنتخب المرأة أم لا تنتخب؟ فبداية عقد تأسيس الدولة الإسلامية من تاريخ بيعة العقبة الثانية فقد اتفقوا مع الرسول كما قلنا سابقاً أن يهاجر إليهم ويحموه مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم وأموالهم و... الخ.

فهذه البيعة تمثل عقد اجتماعي حقيقي ليس متوهماً ويتقدم على ما كتبه خاصة الفرنسيين مثل "مونتسكيه" عن العقد الاجتماعي فهذه عقود متوهمة يتصورون فيها أن المحكوم اتفق مع الحاكم وتعاقد معه على إقامة دولة، ولكن نحن لدنيا العقد عقد حقيقي من خلال أشخاص التقوا وناقشوا وعقدوا عقد حقيقي وعندما أتوا للعقد والمبايعة قال لهم الرسول: "اختاروا منكم اثني عشر نقيبًا" بالانتخاب وليس مثلما تدعي الآن "كوندليزا رايس" وزيرة الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس بوش، أنها سوف تعلمنا الديمقراطية وآليات الانتخابات بل إنه قبل أربعة عشر قرنًا تأسست الدولة بالانتخاب وليس فقط بالانتخاب وإنما بالمؤسسة وهذه هي النقطة التي أريد لفت النظر إليها... فالدولة الإسلامية التي هي البعد الحضاري للسنة النبوية دولة مؤسسات بُنيت على ثلاث مؤسسات -وبعضكم قد يرى هذا أنه حديث جديد- هناك ثلاث مؤسسات المؤسسة التي ولدت في بيعة العقبة التي هي من القبائل الاثنى عشر، والتي تسمى بالنقباء وهم:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ أَبُو أُمَامَةَ
٢. وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ
٣. وَمُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ ، وَهُمَا ابْنَا عَفْرَاءَ
٤. رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ
٥. وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ
٦. عُبَادَةُ بْنُ الصّامِتِ
٧. وَأَبُو عَبْدِ الرّحْمَنِ وَهُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ
٨. الْعَبّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ
٩. عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي
١٠. قُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حَدِيدَةَ
١١. أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ
١٢. عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ

فهذه مؤسسة دستورية انتُخبت ونابت عن الآخرين في عقد تأسيس الدولة ومبايعة رسول الله r، وظلت الدولة -وأحياناً في بعض الكتب التاريخ نجد كلمات تغيب عن الناس ولا تدركها مثل أن يقال أن فلان عضو في الإثنى عشر وعضو في السبعين وسأفسر لكم موضوع السبعين وهي مؤسسة ثالثة... إذن لدينا مؤسسة ولدت في بيعة العقبة في السنة الأولى قبل الهجرة، والمؤسسة الثانية هي المهاجرين الأولين (العشرة) وللأسف الشديد في كتب السنة وفي كتب التراث اختزلوا هذه المؤسسة في العشرة المبشرين بالجنة. نعم هم مبشرين بالجنة ولكن هل التبشير بالجنة وظيفة فهل يكون لدينا مؤسسة فيها عشرة نطلق عليهم المبشرين بالجنة بالرغم من أن القرآن يقول أن كل المسلمين مبشرين بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾ تبحث عن مصطلح البشارة والتبشير في القرآن تجد أن كل المؤمنين مبشرين بالجنة فلماذا اقتصر التبشير على العشرة فالعشرة مبشرين بالجنة ولكنها ليست وظيفتهم وليست هي الصفة التي جعلتهم مؤسسة تسمى باسم المهاجرين الأولين هؤلاء العشرة منهم أربعة الخلفاء الراشدين ثم أبو عبيدة بن الجراح (أمين الأمة) وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل هؤلاء العشرة اختزلت وظيفتهم وأسموهم المبشرين بالجنة هؤلاء العشرة اسمهم المهاجرين الأولين ماذا يعني ذلك؟ هذا ما يحدد وظيفتهم هم أولاً مهاجرين أي قرشيين كانوا قيادات بطون قريش في مكة وكانوا زعماء حتى قبل الإسلام فأبو بكر مثلاً كان مختص بالأنساب، وعمر كان مختص بالسفارات وغيرهم فكان لهم قيادة وكل منهم يمثل وظيفة بطن من بطون قريش وأنتم تعرفون أن القبيلة توزع إلى بطون وأفخاذ..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن هم مهاجرين لأنهم قرشيين ومهاجرين أولين لأنهم أول الناس دخولاً في الإسلام ولكي تعرفوا معنى المؤسسة فقد كانوا يعتبرون مثل الوزراء في حكومة رسول الله r وكان لهم اختصاصات فعندما بُني مسجد المدينة وهذا المسجد كان للقيادة ودار للتدريب والحرب والذكر والفكر والتعليم وكل شيء فقد كان هذا المسجد مكانًا للحكومة ولرئاسة الجمهورية والعشرة المهاجرين الأولين منازلهم كانت تحيط بالمسجد ولبيوتهم أبواب تفتح في المسجد وهي خصيصة ليست لأحد آخر لكي نعرف ما هو معنى أنهم المهاجرين الأولين وأن هذه مؤسسة دستورية وسأتحدث عن اختصاصاتها.

اختصاصات المهاجرين الأوائل والأنصار

في "أسد الغابة" عبارة يتحدث فيها عن هؤلاء العشرة يقول "إنهم كانوا في الصلاة يقفون خلف رسول الله r وفي الحرب يقفون أمام رسول الله r" فهذه دولة مؤسسات فنحن اليوم نتحدث عن مؤسسة من المؤسسات.

كيفية اختيار الخلفاء الراشدين

عندما يأتي الحديث عن السياسة والدولة والخلافة نجد أن كل الذين كتبوا عن دولة الخلافة الراشدة أخطئوا عندما اجتمعوا على أن كل خليفة قد تولى بطريقة خاصة مختلفة عن الآخر فطريقة تولية خليفة رسول الله r أبو بكر تختلف عن طريقة تولية عمر بن الخطاب وتختلف عن طريقة تولية عثمان بن عفان وكذلك عن طريقة تولية عليّ بن أبي طالب، وهذا ليس صحيحًا لأنه كان هناك دستور ونظام وعلاقة بين المؤسستين النقباء الاثنى عشر، والمهاجرين الأولين، فعندما توفي رسول الله r سمع أبو بكر وعمر والمهاجرين الأولين أن الأنصار اجتمعوا في ثقيفة بني ساعدة لكي يختاروا منهم خليفة لرسول الله r ليأخذوها باعتبارهم أهل المدينة فذهب ثلاثة من المهاجرين الأولين من العشرة هم (أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة) وورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال "أنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله أن عليًا والزبير ومن كان معهما تخلفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله r وتخلف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلان صالحان، فذكرا لنا الذي صنع القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟

فقلت: نريد إخواننا من الأنصار.

فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟

قالوا: سعد بن عبادة.

فقلت: ماله؟

قالوا: وجع، فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا، وقد دفّت دافة منكم (أي المهاجرون) تريدون أن تختزلونا (أي الأنصار) من أصلنا وتحضنونا من الأمر (أي الخلافة).

فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد وهو كان أحكم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته وأفضل حتى سكت.

فقال: أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم.

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة ابن الجراح، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم أحب إلي أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، إلا أن تغير نفسي عند الموت.

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.

فقلت لمالك: ما يعني: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب؟

قال: كأنه يقول: أنا داهيتها.

قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف.

فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: قتلتم سعدا.

فقلت: قتل الله سعداً.

قال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أرفق من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا بيعة له، ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا.

قال مالك: فأخبرني ابن شهاب عن عروة أن الرجلين اللذين لقياهما: عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب أن الذي قال: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب: هو الحباب بن المنذر.

وقد أخرج هذا الحديث الجماعة في كتبهم من طرق عن مالك وغيره عن الزهري به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية عن عمرو، ثنا زائدة، ثنا عاصم، وحدثني حسين بن علي عن زائدة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله - هو: ابن مسعود - قال: لما قبض رسول الله r قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر، فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر. ورواه النسائي عن إسحاق بن راهويه، وهناد بن السري عن حسين بن علي الجعفي، عن زائدة به. ورواه علي بن المديني عن حسين بن علي، وقال: صحيح لا أحفظه إلا من حديث زائدة عن عاصم. وقد رواه النسائي أيضا من حديث سلمة بن نبيط، عن نعيم ابن أبي هند، عن نبيط بن شريط، عن سالم بن عبيد، عن عمر مثله.

وقد روي عن عمر بن الخطاب نحوه من طريق آخر، وجاء من طريق محمد بن إسحاق عن عبد الله ابن أبي بكر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر أنه قال: قلت: يا معشر المسلمين إن أولى الناس بأمر النبي الله ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو بكر السباق المسن، ثم أخذت بيده وبدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده، ثم ضربت على يده وتبايع الناس. وقد روى محمد بن سعد عن عارم بن الفضل، عن حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد فذكر نحوا من هذه القصة، وسمى هذا الرجل الذي بايع الصديق قبل عمر بن الخطاب فقال: هو بشير بن سعد والد النعمان بن بشير.

اعتراف سعد بن عبادة بصحة ما قاله الصديق يوم السقيفة

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة عن داود بن عبد الله الأودي، عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول الله وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حيا وميتا، مات محمد ورب الكعبة، فذكر الحديث.

قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتعادان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل في الأنصار، ولا ذكره رسول الله من شأنهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسول الله قال: «لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا، سلكت وادي الأنصار» ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعد: «قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم».

فقال له سعد: صدقت نحن الوزراء، وأنتم الأمراء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عباس، ثنا الوليد بن مسلم، أخبرني يزيد بن سعيد بن ذي عضوان العبسي عن عبد الملك بن عمير اللخمي، عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: وسألته عما قيل في بيعتهم.

فقال: وهو يحدثه عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به، وما كلم به عمر بن الخطاب الأنصار، وما ذكرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة.

وهذا إسناد جيد قوي، ومعنى هذا: أنه رضي الله عنه إنما قبل الإمامة تخوفا أن يقع فتنة أربى من تركه قبولها، رضي الله عنه وأرضاه.

قلت: كان هذا في بقية يوم الاثنين، فلما كان الغد صبيحة يوم الثلاثاء اجتمع الناس في المسجد، فتممت البيعة من المهاجرين والأنصار قاطبة، وكان ذلك قبل تجهيز رسول الله تسليما.

قال البخاري: أنبأنا إبراهيم بن موسى، ثنا هشام عن معمر، عن الزهري، أخبرني أنس بن مالك، أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ، وأبو بكر صامت لا يتكلم.

قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله حتى يدبرنا - يريد بذلك أن يكون آخرهم - فإن يك محمد قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به، هدي محمدًا وإن أبا بكر صاحب رسول الله وثاني اثنين، وأنه أولى المسلمين بأموركم، فقدموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر.

قال الزهري عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر!فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني الزهري، حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهدها إلي رسول الله ، ولكني كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا يقول: يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وأن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة"[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوموني؛ الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدرة، وما معه غيري، قال: وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشي قدمه بدرته.

قال: إذ التفت إلي، فقال: يا بن عباس، هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم؛ قال: فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت"[1] فقد حسم هنا أبو بكر الخلاف بطريقة دستورية من خلال توزيع الاختصاصات بين المؤسستين وهنا أُنبه إلى فكرة المؤسسية في الدولة الإسلامية عندما قال: "منا الأمراء، ومنكم الوزراء" فالإمارة ورئاسة الدولة والخلافة في المهاجرين الأولين في العشرة، أما الوزارة والمعاونة فالوزير هو المعاون والمآزر هذا في المؤسسة الثانية (النقباء الإثني عشر).

ما الذي حدث عندما اتفقوا على المبدأ؟ اثنين من العشرة وهم: عمر وأبو عبيدة بن الجراح رشحوا الثالث وهو أبو بكر ثم جُمعت له البيعة العامة بعد ذلك... إذن طريقة تولي الخلافة التي تظهر أن كل الخلفاء ولوا بنفس الطريقة الدستورية وهي أن الترشيح يأتي من القيادة (العشرة) تقوم بترشيح الخليفة ثم تُجمع له البيعة، عندما حضرت أبو بكر الوفاة جمع العشرة واتفقوا على عمر وكتبوا كتاباً وبعدما توفى أبو بكر أُعلن الكتاب وجُمعت لهم البيعة العامة، وعندما طُعن عمر جمع بقية العشرة وهم ستة (من يسموا بأهل الشورى) هم من سينتخبوا الخليفة الذي سيأتي بعد عمر وعندما وجدهم ستة بدلاً من عشرة أضاف إليهم ابنه عبد الله بن عمر بحيث يكون له الرأي وليس السلطة –وهذا وضع دستوري- فهو ليس عضو في المؤسسة ولذلك له الرأي ولكنه وقت التصويت لا يكون له صوت لأنه ليس عضوًا في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤسسة فاختاروا عثمان بن عفان بنفس الطريقة التي تم بها اختيار أبو بكر واختيار عمر بها، وعندما حدثت الثورة على عثمان وجاؤا الثوار لمبايعة عليّ بن أبي طالب قال: "هذا ليس لكم، هذا للمهاجرين الأولين" وقل عدد الأعضاء في الهيئة فبعضهم اعتزل الفتنة وبعضهم توفى فلم تحدث البيعة لعليّ إلا عندما انضم لهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله –بقايا الهيئة- فبايعوا عليّ وبعدما بايعوا عليّ جُمعت له البيعة العامة والإمام عليّ عندما وجد الهيئة الدستورية اقتصرت على عددٍ محدود عنّ له أن يوسع عضوية الهيئة فكيف يوسعها؟ اقترح إضافة بقايا البدريين الذي حضروا غزوة بدر إلى هذه الهيئة لكن جاءت أحداث الفتنة فلم تمكنه من هذا الموضوع.

رأيتم كيف تم تولية الخلافة الراشدة فجميع الخلفاء الأربعة تولوا بنفس الطريقة الدستورية من خلال اللجنة المركزية (العشرة) ترشح ثم يُتفق على الخليفة ثم تُجمع له البيعة ولاحظتم أيضاً أن الترشيح لا يكون نهائي إلا إذا بايعت الأمة فعندما طُعن عمر وكانوا يبحثون عن من يكون الخليفة –وهذا يُبين الفرق بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية فالديمقراطية الغربية كانت في أثينا الأحرار الفرسان الملاك الأشراف قلة يجتمعوا في ميدان هم من يقرروا وهم من لهم الحقوق، **فعمر بن الخطاب لما طُعِن طعنته التي مات منها، أقبل عليه المسلمون، وطلبوا منه أن يستخلف، فقال: «مَنْ أستخلف؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إنه أمين هذه الأُمة، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيَّك يقول: «إن سالماً شديد الحب لله «فقال له أحد المسلمين: استخلف ابنك عبد الله. فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا. ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم، ما حمدتها لأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيراً فإنّا قد أصبنا منه، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يُحاسب منهم رجل واحد، يُسأل عن أمر أُمة محمد. أما لقد جهدت نفسي، وحرمت أهلي، وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر، إني لسعيد»، فخرج المسلمون من عنده وتركوه يفكر في الأمر. ثم عادوا إليه مرة أخرى، وسألوه أن يستخلف، حرصاً على مصلحة المسلمين. فقال لهم: «عليكم هؤلاء الرهط، الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عنهم راضٍ، وقال فيهم: إنهم مِنْ أهل الجنة: عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله. ويكون معهم عبد الله بن عمر ولكن له الرأي ولا يكون له من الأمر شيء . وقد أوصاهم عمر أن ينتخبوا خليفة. وضرب لهم أجلاً قدره ثلاثة أيام. وقال لهم بعد حديث طويل: فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام. ولـيُصلّ بالناس صُهيب. ولا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأتينّ اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم» ثم عيّن عمر أبا طلحة الأنصاري لحراسة المجتمعين، وحثهم على العمل. وقال له: «يا أبا طلحة، إن الله عز وجل طالما أعز الإسلام بكم. فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط، حتى يختاروا رجلاً منهم» وطلب من المقداد بن الأسود أن يختار مكان الاجتماع. وقال له: «إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت، حتى يختاروا رجلاً منهم» ثم طلب من صهيب أن يراقب الاجتماع. وقال له: «صلّ بالناس ثلاثة أيام. وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف وطلحة إن قَدِمَ، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء له من الأمر، وقم على رؤوسهم. فإن اجتمع خمسة، ورضوا رجلاً، وأبي واحد، فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رأسيهما، فإن رضي ثلاثة منهم رجلاً، وثلاثة رجلاً، فحكّموا عبد الله بن عمر، فأيّ الفريقين حَكَم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين، إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس» ثم طلب منهم أن يتركوا البحث في الخلافة حتى يموت.

وبعد وفاته ودفنه اجتمع النفر الذين سماهم عمر ما خلا طلحة الذي كان غائباً. ويقال إن اجتماعهم كان في بيت عائشة. ومعهم عبد الله بن عمر. وأمروا أبا طلحة الأنصاري أن يحجبهم. فلما استقر بهم المجلس قال عبد الرحمن بن عوف: «أيّكم يخرج منها نفسه ويتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟» يعني أيّكم يتخلى عن حقه في الخلافة، بشرط أن يُحكّمه الجميع، ليختار الخليفة من بينهم كما يريد. وبعد أن قال عبد الرحمن بن عوف هذا القول، سكت الجميع، ولم يجبه أحد. فقال عبد الرحمن: أنا أخلع نفسي منها. فقال عثمان: أنا أول من رضي؛ فإني سمعت رسول الله يقول: «أمين في الأرض أمين في السماء. «فقال الزبير وسعد: قد رضينا. وسكت عليّ. فقال عبد الرحمن: (ما تقول يا أبا الحسن (قال عليّ: (أعطني موثقاً لتؤْثِرَنَّ الحق، ولا تتبع الهوى، ولا تخصّ ذا رحم، ولا تألو الأُمة). فقال عبد الرحمن: «أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل وغيّر، وأن ترضوا مَنْ اخترت لكم، وعَلَيَّ ميثاق الله أن لا أخصّ ذا رحم ولا آلو المسلمين» فأخذ منهم ميثاقاً، وأعطاهم مثله. ثم أخذ يستشيرهم واحداً واحداً، قائلاً لكل واحد منهم: إنه لو صُرِف هذا الأمر عنه من كان يرى مِنْ هؤلاء الرهط أحق بالأمر؟ فقالَ عليّ: عثمان. وقال عثمان: عليّ. وقال سعد: عثمان. وقال الزبير :عثمان. ثم راح يسأل أصحاب الرأي في المدينة، ويسأل جميع المسلمين رجالاً ونساءً. ولم يترك رجلاً أو امرأة إلا وسأله عمن يختار مِنْ هؤلاء الرهط. فكان جماعة منهم يأمرون بعثمان، وجماعة يأمرون بعليّ. ووجد رأي الناس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موزعاً بين عثمان وعليّ، وأن القرشيين على كل حال كانوا في صف عثمان. وبعد أن انتهى عبد الرحمن مِنْ طوافة بالناس، وخلواته بهم، وعرف رأي الناس رجالاً ونساءً، دعا المسلمين إلى المسجد، ثم صعد المنبر متقلداً سيفه، وعليه عمامته التي عممه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم وقف وقتاً طويلاً، ثم تكلم، فقال: «أيها الناس إني قد سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إمّا عليّ وإمّا عثمان». ثم التفت إلى عليّ وقال له: «قُمْ إليّ يا عليّ». فقام عليّ، فوقف تحت المنبر، فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: «هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال عليّ: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وعلمي» أي أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله على جهدي من ذلك وعلمي فيهما. أما فعل أبي بكر وعمر فلا أتقيد به، وأجتهد رأيي - فأرسل عبد الرحمن يده. ثم نادى: «قُمْ إليّ يا عثمان». فأخذ بيده وهو في موقف عليّ الذي كان فيه، فقال: (هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم». فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثم قال: «اللهم اسمع واشهد، اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان). وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه. ثم جاء عليّ يشق الناس حتى بايع عثمان. وبذلك تمت البيعة لعثمان..".

فالشورى الإسلامية كل الأمة لها رأي في هذه الشورى بينما الديمقراطية الغربية كانت قلة من الأحرار سواء في عهد الإغريق أو في عهد الرومان إذن عندنا مؤسستين مؤسسة النقباء الاثني عشر، ومؤسسة المهاجرين الأولين، المؤسسة الثالثة هي مجلس شورى من سبعين يجتمع في مسجد النبوة في مكان محدد في أوقات محددة وتعرض عليه قضايا الأمة ومشكلاتها وعندما كتبت حول هذا الموضوع لمحت شخص مثل ابن عبد البر في كتابه "الدرر في اختصار المغازي والسير" يذكر فيه مثلا أن فلان عضو في الاثنى عشر وعضو في السبعين فهذا رأي شخص أعد دراسة عن مجلس الشورى بأن هناك مجلس حقيقي وليس مجموعة من البشر تجمعهم وتسألهم ثم تقوم بفضهم، وقد اجتمعوا عندما فتح المسلمين فارس فسأل عمر ماذا نفعل مع هؤلاء فهم يعبدون النار فهم يعرفون أن اليهود والنصارى أهل كتاب فعرض المشكلة على مجلس الشورى "فوثب عبد الرحمن بن عوف وقال: أشهد أني سمعت رسول الله **r** يقول: سنوا فيهم سنة أهل الكتاب" إذن كان لدينا مجلس شورى وكان لدينا مؤسسة المهاجرين الأولين ومؤسسة النقباء الإثنى عشر ثلاث مؤسسات دستورية قامت على أساسها الدولة الإسلامية، وعندما تأسست هذه الدولة في السنة الأولي للهجرة وعندما تم تطبيقها وقامت بعد الهجرة كان لها دستور اسمه "الصحيفة" أو الكتاب مصاغ فيه مواد دستورية صياغة دستورية أكثر من خمسين مادة وموجود في كتب التراث وأنا نشرته في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتاب "الإسلام وحقوق الإنسان" ووضعت له شرح كوثيقة من الوثائق الدستورية للدولة الإسلامية ينص الدستور على أن رعية الدولة متعددة الأديان لأن كان هناك يهود في المدينة أدخلهم الرسول كجزء من رعية الدولة وأقول مرة أخرى إن كل الذين كتبوا عن دستور دولة المدينة أخطئوا عندما قالوا أن الرسول r عندما هاجر للمدينة أقام معاهدة وموادعة مع اليهود العبرانيين وهذا ليس صحيحًا وعندما نقرأ الدستور الخاص بدولة المدينة نعرف أنه كان في المدينة نوعين من اليهود:

١. يهود عرب تهودوا. وعندما تقرءوا مواد الدستور –ومن الغريب أن الناس تمر عليها هذه المسائل دون أن تنتبه إليها- يقول يهود بني الأوس، يهود بني الخزرج، يهود دوشم... الخ أي القطاعات التي تهودت من القبائل العربية وهؤلاء الذين كانوا يعيشون في المدينة وهؤلاء من أصبحوا جزء من رعية الدولة الإسلامية بنص الدستور وأسلموا بعد ذلك.

٢. اليهود العبرانيين وهم بني إسرائيل وهي القبائل الثلاثة بنو قريظة، بنو النضير، بنو قوينقاع هؤلاء لم يكونوا يسكنوا داخل المدينة وإنما كانوا يسكنون في الواحات الزراعية حول المدينة ولذلك عندما خانوا رسول الله r في غزوة الخندق ذهب إلى بني قريظة وحاربهم، وعندما فعل مع خيبر في مزارعهم وحصونهم وحاربهم فهؤلاء كانوا موالي لليهود العرب وحلفاء لهم لكن المعاهدة والدستور والصحيفة والكتاب كان بين المسلمين وبين اليهود العرب الذين تهودوا ولذلك فإنهم كانوا يحاربون مع المسلمين ويأخذون جزء من الغنائم مع المسلمين والدستور أقر لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... الخ.

إذن نحن لدينا دولة قامت بالبيعة والشورى والانتخاب وقامت على ثلاث مؤسسات دستورية ولكي تعرفوا معنى كلمة دستور يحدث لكم نوع من الدهشة فكلنا نقرأ في غزوة بدر أن الرسول r قبل أن يحارب استشار الصحابة فقالوا له: نحن معك "**ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد، ونشطه ذلك. ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[1] فالأنصار أهل المدينة الذين عقدوا البيعة إقامة الدولة قالوا له: كأنك تريدنا - أي من الواضح أنك تقصدنا - قال لهم: نعم، قالوا: نحن معك فحارب. لماذا؟ لأن التعاقد الأول في بيعة العقبة كان على حماية الرسول في المدينة أي أن حدود الدولة المدينة لكن اليوم سيحارب خارج المدينة في بدر لابد أن يطور التعاقد الدستوري ويطور إطار وخريطة الدولة التي سيتم حمايته فيها بالشورى فعندما قالوا: نعم بدأ يتخذ خطوات القتال في غزوة بدر. مثلما قلت كيف إن الإمام علي بن أبي طالب كان يريد أن يوسع عضوية الهيئة الدستورية فالأمور لم تكن تسير اعتباطاً وإنما عندما نقول أن هناك مؤسسات دستورية وأن هناك دستور نجد أن لدينا فقه دستوري وقانوني يستحق منا إحيائه لأن هذه الملامح التي أتحدث عنها طُمست في تاريخنا الإسلامي لدرجة أن المهاجرين الأولين يتحولون في كتب التاريخ إلى مجرد مبشرين بالجنة فطُمست في عصور الاستبداد فلم يكن من مصلحة المستبدين إبراز الجوانب الدستورية والجوانب الشورية في إقامة الدولة الإسلامية. نحن اليوم جزء من فقهنا لتاريخنا وللدولة الإسلامية وللسنة النبوية وللأبعاد الحضارية للدولة الإسلامية أننا نفتح هذه الملفات وأن نلقى عليها بعض الأضواء.

لا أريد التطويل عليكم ولكني أريد أن أختم بنقطة؛ الحضارة الإسلامية التي هي تطبيق للسنة النبوية تميزت عن الحضارة الأوربية المسيحية بأن المسلمين عندما أبدعوا في العلوم لم يقف الإبداع فقط عند العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وإنما أبدعوا في العلوم المدنية والطبيعية والحضارية مع العلوم الشرعية في وقتٍ واحد ولكي تعرفوا الفرق فالمسيحية دخلت أوربا في الدولة الرومانية في القرن الثالث الميلادي، وأول فلكي يظهر في الحضارة الأوربية المسيحية في القرن السادس عشر هو "كوبرنوكس" والكتاب الذي كتبه صادرته الكنيسة فلم يطبع وينشر هذا الكتاب إلا في القرن الثامن عشر، فالحضارة المسيحية قبرت العلم الطبيعي ولم يظهر أول فلكي إلا في القرن السادس عشر ولم يطبع كتابه أو يوزع إلا في القرن الثامن عشر أما نحن ففي القرن الأول الهجري كان الإبداع في العلوم الطبيعية مع العلوم الشرعية

(١) السيرة لابن هشام، غزوة بدر الكبرى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في وقت واحد لماذا؟ هذه نقطة من النقاط التي كتبت فيها وقد استفدت من كتابتها المستشرقة الألمانية "زيجريد هونكة" وهي سيدة عظيمة ولها ثلاث كتب منهم كتاب "شمس الإسلام تسطع على الغرب" الذي أسموه "شمس العرب تشرق على الغرب" ولكن لها كتابين أكثر إبداعًا الأول "العقيدة والمعرفة" وقد ترجم وطبع في دمشق، وكتاب ثالث وصغير ولكنه نفيس طبعة دار الشروق لسنة ١٩٩٥م بعنوان "الله ليس كذلك" وهذه السيدة لمست عدد من القضايا في الفكر الإسلامي وفي الحضارة الإسلامية وفي السنة النبوية وفسرت وفتحت باب جديد في فهم إبداع المسمين الأوائل فنحن نعرف أن المسلمين أبدعوا في العلوم الطبيعية في القرن الأول الهجري وأننا متميزين عن الغرب في هذا وعن المسيحية لكن لماذا؟ فذكرت أنه ذلك يرجع إلى أن الفكر اليوناني كان فكر فلسفي تجريدي ذهني ولا يهتم بالتجريب ولكن التجريب عمل يدوي واليونان العمل اليدوي بالنسبة لهم هو عمل العبيد وهو عمل حقير فالفلاسفة لا يدنسون أيديهم بالتجارب ولذلك فالفكر اليوناني يغلب عليه الفلسفة والذهنية والأمور التجريدية. فقد عرفنا موقف اليونان من الطبيعة والتجربة أما الفكر المسيحي فهو يرى العالم دنس فهناك مقدس وهو الإنجيل وهذا به كل العلوم ولكن أن تدرس في الطبيعة ويكون لديك علوم طبيعية وتقوم بتجارب... الخ ولذلك فالمسيح قال: "مملكتي ليست في هذا العالم" فالعالم هذا دنس. أما الإسلام تفرد بأنه اعتبر الطبيعة خلقٌ لله -سبحانه وتعالى- يُسبح الله وإن لم نفقه تسبيحه ولذلك الإمام محمد عبده كأن يؤثر أن يسميها "الخليقة" وليست "الطبيعة" لأنها من خلق الله -سبحانه وتعالى- ولذلك كان موقف الإسلام والعلم الإسلامي من الطبيعة موقف مختلف عن الموقف اليوناني، ومختلف عن الموقف المسيحي ولذلك فإن الإبداع في العلوم الطبيعية بدأ منذ اللحظة الأولى، ولذلك لماذا أحيا الإسلام الكتب الخاصة بالإغريق والرومان والفرس والهنود بينما كانت موجودة في صناديق مربوطة بسلاسل حديدية وموضوعة في الأديرة والكنائس؟ لماذا تعطلت الترجمة؟ ومن بدأ بتشغيل التراجمة من غير المسلمين؟ هم المسلمين هذه أسئلة لا تفهم إلا في ظل موقف الإسلام من الطبيعة وعندما راجعت في القرآن الحديث عن العلم فهناك مئات الآيات في القرآن تتحدث عن العلم ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾...الخ لكن كلمة علماء وردت في القرآن مرتين ﴿عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وكلمة العلماء بالتعريف ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ من هم العلماء الذين يخشون الله -سبحانه وتعالى- ليس علوم الفقه ولا الحديث والتفسير وإنما علوم الطبيعية انظر إلى سياق الآية ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً﴾ علوم السماء والماء والزراعة، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا﴾ كل أنواع المزروعات ﴿وَمِنْ الْجِبَالِ﴾ الجيولوجيا ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، ﴿وَمِنْ النَّاسِ﴾ علم البشر ﴿وَالدَّوَابِّ﴾ كل ما يدب على الأرض ﴿وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالمرة الوحيدة التي ذكرت فيها في القرآن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلمة "العلماء" بأداة التعريف كان بالنسبة لعلماء الطبيعة وليس لعلماء الفقه والحديث لأن اكتشاف أسرار الله في الكون، سنن الله المبثوثة في الأنفس والآفاق هو الطريق لخشية الله - سبحانه وتعالى- ولذلك ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ قراءتين قراءة في كتاب الخلق وقراءة في كتاب الوحي، قراءة في الكتاب المنظور وقراءة في الكتاب المسطور ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ولذلك فإن الغرب يقف أمام عالم الشهادة ونحن نقول أن عالم الشهادة مصدر للمعرفة وعالم الغيب مصدر للمعرفة فليست ساق واحدة وإنما الحضارة والثقافة تقف على ساقين.

إذن أبدع المسلمون في علوم الحضارة تطبيقًا للمنهج القرآني ولسنة رسول الله **r** التي هي بيان نبوي للمنهج القرآني منذ القرن الهجري الأول فنحن نقرأ كثيرًا في الكتب عن عصر التدوين في القرن الثاني الهجري وأيام الدولة العباسية وهذا ليس صحيحًا، معاوية بن أبي سفيان الذي كان في منتصف القرن أي سنة ٤٠ هجرية تقريبًا بعد وفاة الإمام عليّ بدأ في عصره التدوين وعندما نقرأ في "الفهرست" لابن النديم نجد الحديث عن أن معاوية جاء بشخص يدعى "عبيد بن شورية"[١] من اليمن وهو من جعله يدون تواريخ الملوك وأخبارهم أي في منتصف القرن الهجري الأول بدأ عصر التدوين. وهنا أمير من أمراء بني أمية اسمه "خالد بن يزيد" ترك الخلافة والسياسة وكان جيدًا أن تركها فهو أول من أعد مشروع لترجمة علوم مدرسة الإسكندرية لأن مدرسة الإسكندرية كان بها بقايا العلوم الإغريقية والرومانية التي نجت من الحرق والاضطهاد النصرانيين فالنصارى حرقوا كثيراً من المكتبات والعلوم فبدأ "خالد بن يزيد" يترجم هذه العلوم وله كلام كتبه ابن النديم في الفهرست يقول: "**أن خالد بن يزيد كان يسمى حكيم آل مروان وكان فاضلاً في نفسه خطيبًا شاعرًا فصيحًا حازمًا جوادًا ذا رأي وله همةٌ ومحبةٌ في العلوم ولقد خطر بباله نقل علوم الصنعة إلي العربية (التقنيات) -التي نسميها الآن التكنولوجيا- فاحضر جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة" ثم سألوه لماذا تهتم بالعلوم؟ قال: "أنه يريد أن ينشئ دولة للعلماء لكي لا يحتاجوا الوقوف على أبواب الأمراء"**

---

(١) تكاد المصادر تجمع على أن معاوية هو أول من التقى بعبيد بن شرية الجرهمي على اعتبار أنه من الإخباريين المعمرين. وبالرغم من هذا الإجماع، فإنها اختلفت في الطريقة والمكان الذي التقى فيه معاوية بعبيد بن شرية الجرهمي. ففي حين ذكر عبيد بن شرية نفسه أنه التقى به في مدينة الرقة).عُبَيد بن شَرِيَّة الجُرهمي ومنهجه الإخباريّ المعايطة. **الدكتور زريف مرزوق**، كلية الآداب ــ جامعة مؤته، الكرك (الأردن).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انظروا إلى سلطنة العلم "**قيل له لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصنعة أي تخصصت وتفرغت لهذه العلوم فقال: ما أطلب بذلك إلا أن أُغنِي أصحابي وإخواني وأنا أريد أن أبلغ آخر هذه الصناعة فلا أحوج أحدًا عرفني يومًا أو عرفته إلى أن يقف بباب سلطانٍ رغبةً أو رهبة**" وهناك حديث كثير في الفهرس حول هذا الموضوع حيث يقول: "ويقال –والله أعلم- أنه قد صح له عمل الصناعة (تطبيقات العلوم الصناعية) وله في ذلك عدة كتب ورسائل وله شعر كثيرٌ في هذا المعنى-يقول ابن النديم- رأيت منه خمسمائة ورقة ورأيت في كتبه كتابات الحرارات –خالد بن زيد توفي عام ثمانين هجرية فكل هذا تم في منتصف القرن الهجري الأول- وكتاب الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة". ابن عساكر في "تاريخ دمشق" يقول: **أن خالد بن يزيد كان يحلي مياه البحر المالح ويحولها إلى مياه عذبة هذا في القرن الأول الهجري**؛ ولذلك أقول أن الموقف الإسلامي المتميز من الطبيعة ومن التجربة في الطبيعة هو الذي جعل الإبداع الإسلامي مع العلوم الشرعية في وقت واحد منذ الوقت المبكر ولذلك نستطيع أن نعرف لماذا اخترع المسلمون المنهج التجريبي؟ فهذا يرجع إلى موقف الإسلام من الطبيعة وهنا العلم أصبح ثمرة للدين وهذا معنى الحضارة فالإسلام لم يقم فقط على الصلاة والصوم وإنما صنع حضارة ومدنية وهذا هو معنى البعد الحضاري للسنة النبوية.

عندما نقرأ في تاريخ العلوم خاصة "لفؤاد سيزكين" وهو عالم تركي يلفت النظر إلى أن الحقيقة موجودة في كل كتب التراث وعندما ترجم المسلمون كتب الإغريق واليونان والرومان وحتى الهنود والفرس لم يأخذوا هذه الكتب كقضايا مسلمة وإنما فحصوا ووضعوا سلسلة من كتب الشكوك شكوا فيه في الكلام الموروث لماذا؟ باعتبار أن هؤلاء القدماء لم يكن لديهم تجربة المسلمين فبدءوا بامتحان النظريات فظهرت أشياء كثيرة ليست صحيحة فمثلاً "جالينوس" –أبو الطب- كتب أن فك الإنسان مركب من عظمتين فجاء شخص يدعى "عبد اللطيف البغدادي"[1] جاء القاهرة واتجه إلى المدافن وقام بإجراء تجارب على آلاف الجماجم فلم يجد أبدًا فك مكون من عظمتين انظروا كيف امتحنوا هذه المقولات ولم يأخذوا ما قاله أبو الطب وأبوقراط وجالينوس وإقليدس ولا بطليموس فوجدوا عديد من الكتب في الشكوك. وقد

(١) **موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد** ولد في بغداد في العراق سنة ٥٥٧هـ الموافق ١١٦٢ م في دار جده بدرب الفالوج ببغداد، وهو من أصل موصلي، واشتهر باسم عبد اللطيف البغدادي، ولقب بابن اللباد، كان أبوه مشتغلًا بعلم الحديث والقراءات، كما أن عمه كان فقيهًا، لذلك فقد تعلم (البغدادي) ونهل من هذا المنهج العلمي الفياض، حيث يسر له ولده وهو في صباه سماع الحديث من جماعة علماء أفاضل، مما جعله ينشأ في جو من العلم والتقوى.. المصدر. ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نَقلت هذه النصوص في كتاب بعنوان "الدين والحضارة" يبين كيف كان هناك مرحلة لاختبار المواريث العلمية واختراع المنهج التجريبي وإقامة الإبداع الحضاري العلمي على أساس هذا المنهج التجريبي... ولذلك فالمسلمون لم يكونوا بمثابة "ساعي بريد" فلم يأخذوا الكلام اليوناني وينقلوه كما هو للحضارة الأوربية وإنما اختبروا وطوروا وغيروا وقد ورد ذلك سواء في كتاب "الفهرست" لابن النديم أو في كتابات زيجريد هونكه وقد أحضرت شهادتها في هذا الكتاب "الدين والحضارة". فهذا يوضح كيف أن الإسلام لم يقف عند حدود الدعوة، لم يقف عند حدود البلاغ القرآني، لم يقف عند حدود العبادات، لم يقف عند حدود منظومة القيم والأخلاق ككل الرسالات التي سبقت وإنما أقام الدولة، أقام المدنية، أقام الثقافة، أقام التاريخ، أقام الحضارة وهذا هو معنى أن هناك بعد حضاري للسنة النبوية أي أن التطبيق النبوي للبلاغ القرآني كانت له أبعاد حضارية بدأت بالدولة وبكل ما تفرع عن هذه الدولة وعذرًا للإطالة وأثقلت على ذهنكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أ.د. رفعت العوضي/

نشكر للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة ودائمًا نعتز بأن جمهورنا من الأكاديميين وهو جمهور يستحق أن يستمع لكم، وسأقوم بتلخيص ما قاله أستاذنا فقد بدأ بالحديث عن القرآن الكريم وعلاقته بالسنة النبوية وحسن أن نختم بهذه المحاضرة الموسم عن السنة النبوية، وتحدث أستاذنا عن الإسلام من حيث الفردية والجماعية، وأن فيه وأمور الدين وأمور الدنيا، وقد وقفنا طويلاً مع أستاذنا فيما يتعلق بأمر الشورى ونحن نتحدث عن موضوع الشورى فهو حديث ذو شجون لأنها قد تكون القضية التي تعوق الأمة الآن، وقد وقف بنا طويلاً أستاذنا عند دولة المؤسسات فمن الخصائص المميزة للبلاد المتقدمة أنها دولة مؤسسات ومن الخصائص المميزة للدول النامية أو المتخلفة أنها قد تغيب فيها المؤسسات على كل المستويات من أعلى مستوى إلى أدنى مستوى. ولا نهضة لهذه الأمة إلا بعودة المؤسسات. فما هو دور المؤسسات؟ فالمؤسسة عبارة عن رأي جماعة. وقد تحدث أستاذنا عن المستويات الثلاث: النقباء، المهاجرون الأوائل، مجلس الشورى المكون من سبعين عضوًا وبالفعل نرى الاستقرار والثبات في الأربعين سنة الأولي التي كان فيها دولة مؤسسات وعندما غابت دولة المؤسسات غاب الاستقرار مثلما نعلم جميعًا، وقد تعرض أستاذنا لأصول الاستبداد السياسي التي لم تنقل لنا أن الأمة كان بها مؤسسات والفقه السياسي عانى كثيرًا من الاستبداد الذي عانت منه الأمة -ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم- وأنا مدين لأستاذنا بمعلومة حيث كنت أعتقد أن التدوين بدأ في القرن الثاني الهجري مع العباسيين وكنت دائمًا أضع سؤال كيف أن أمة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسالتها تبدأ بـــ "اقرأ" ولا تكتب إلا بعد قرن ونصف؟ فأنا أدين لأستاذنا أنه صحح لي هذه المعلومة وما قاله عن خالد بن يزيد.

أ.د. محمد عمارة/

أضيف أن خالد بن يزيد مرواني من بني أمية وعمر بن عبد العزيز من بني أمية لنرى الكلمة التي قالها عمر بن عبد العزيز -وعمر بن العزيز هو ضمير الأمة وخامس الخلفاء الراشدين- يقول: "ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد لا أستثني من ذلك عثمان ولا غيره" حيث فضله على عثمان بن عفان وهذا يوضح مقام العلم.

أ.د. رفعت العوضي/

جزاك الله خيرًا أستاذنا على هذه المعلومات ونواصل الحديث والحوار حيث بدأ التدوين في الحضارة الإسلامية، وما قاله أستاذ كان خاتمة للقول عن العلماء فإذا لم يعد للعلماء ما يستحقونه فلا أمل في نهوض هذه الأمة.

أ.د. رفعت العوضي

فيما يتعلق باتفاقية حقوق الملكية الفكرية وهي إحدى الاتفاقيات من اختراع منظمة التجارة العالمية وهي اتفاقية عالمية في الأمم المتحدة وهي تعني حماية حقوق العلماء باتفاقية عابرة للقارات وهذا معناه أن الأمة التي لا تحمي الإبداع ليس لها مستقبل فهم يحمون الإبداع باتفاقية عابرة للقارات أما نحن لا أعتقد أن الإبداع مطروح في ذهننا بحيث نحميه كما قال أستاذنا كخاتمة للقول عن العلماء وأن خالد بن يزيد أراد أن يقيم للعلماء دولة فهذا هو العالم المتقدم وإذا أردنا أن نتقدم فعلاً فلابد أن يكون للعلماء عندنا دولة.

أستاذنا الكريم نرجو الله -سبحانه وتعالي- أن يجزيه خير الجزاء وأن يديم عليه هذا العطاء لأمته. ونفتح الآن باب الحوار معنا أول طلب كلمة من الأخت وسام كمال فلتتفضل.

أ.وسام كمال- موقع إسلام أون لاين/

أحب في البداية أن أشكر الأستاذ الدكتور على المحاضرة القيمة وكان لدي سؤال، بعد أزمة الدنمارك ظهر الحل للخلاص أو تحدث الناس عن حل المشكلة في إعادة التعريف بالرسول **r** وإعادة التعريف بالإسلام في الغرب فهل التركيز على هذا الحل يمثل إضافة للإسلام؟ أم أنه مجرد إضافة للمعلومة التاريخية لدى الغرب على أنه كان هناك رجل يدعي محمد وهو رجل جيد ولكني أرى أن المشكلة بالأساس تكمن في نظرة الغرب لواقع المسلمين وهو ما أنتج تصورات سلبية عن محمد كرمز لهذا الدين فسبوه سبًا لواقع الأمة وليس سبًا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لشخصه فهو لا يعنيهم من هو؟ فما رأيكم في فكرة إعادة التعريف بمحمد والإسلام وهل هي مجدية وتردع أي محاولة أخرى لنصل الدين؟

أ.د. محمد عمارة/

مدخل الإجابة على هذا السؤال أن الغرب ليس شيئًا واحدًا، فالغرب به إنسان مواطن هو ضحية لثقافة الكراهية السوداء المتجذرة في التراث الغربي ضد الإسلام، وهناك علم غربي ونحن طلاب حكمة وطلاب علم.. ومشكلتنا مع مؤسسات الهيمنة الغربية سواء أكانت مؤسسات دينية أو مؤسسات سياسية. فالمؤسسات الدينية هدفها تنصير المسلمين، أما المؤسسات السياسية هدفها ثروات المسلمين وتستخدم الدين والفكر المغلوط والفكر المعادي للإسلام والمشوه للإسلام لإقناع شعوبها بضرورة محاربة المسلمين واحتلالهم وأنهم إرهابيون... الخ ذلك، إذن نحن نريد تعريف الإسلام للإنسان الغربي، فالمؤسسات الغربية تعرف الإسلام وهي تحارب الإسلام وهي تعرفه وتعرف أنه دين جهاد ويريد تحرير الأمة من الاستعمار والاستغلال، إنما الإنسان الغربي لديه في تراثه وفي كتب التعليم وفي الثقافة وفي الملاحم الشعبية صور شديدة الغرابة عن الإسلام وعن الرسول، فعندما يأتي شخص مثل "مارتن لوثر" في البروتستانتية ليقول: إن محمد هو صائد العاهرات والمومسات، وعندما يأتي "توما الإكويني" ليقول: إن محمد أغوى الشعوب بالشهوات الجنسية، ويصورون الرسول بأنه كان كاردينال كاثوليكي رشح نفسه في الانتخابات البابوية وعندما سقط أحدث انقسامًا، وهو المرتد الأكبر على المسيحية، لديهم ملاحم شعبية تصور لهم أن المسلمين يعبدون الثالوث مستوحاة من ملحمة رولاند عام ١١٠٠م، شعر يتغنون به يصورون فيه المسلمين أنهم يعبدون الثالوث والأصنام، "دانتي" صاحب الكوميديا الإلهية وضع الرسول r وعلي بن أبي طالب في الحفرة التاسعة في جهنم باعتبار أنهم أهل الشقاق انظروا إلى الكلام الذي كتبوه عن القرآن...الخ أي أن الثقافة الغربية والكتب المدرسية الغربية في مشروع أعد في ألمانيا عن الكتب المدرسية الأوروبية: الأخطاء والأكاذيب عن الإسلام مكون من ثمان مجلدات نشرت باللغة الألمانية وتم إعداد ملخص لها باللغة العربية وأصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إذن هناك صورة مشوهة عن الإسلام عند الإنسان الغربي رسمتها المؤسسات الغربية لكي تستخدم الإنسان الغربي في الحروب للهيمنة على العالم الإسلامي نحن نريد أن نُعّرف الغرب بالإسلام، المقصود الإنسان الذي هو ضحية لهذه الثقافة أما المؤسسات الغربية المواجهة معها ليست بالكلام وإنما المواجهة معها من خلال ترتيب البيت الإسلامي وتعظيم إمكانات العالم الإسلامي مثلما تفعل الصين والهند أي إعداد مشروع حضاري نهضوي يجعل العالم يحترمنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إذن نحن في التعامل مع الغرب نريد مستويات: مستوى أهل الفكر نرتب فيه العقل المسلم ونقدم الإسلام ونعرف بالإسلام للإنسان الغربي، مستوى الحكـــومات –هداها الله- نقوم بتحسين حال المسلمين لكي يحترم الآخرون الإسلام فالتعريف مطلوب والترجمة وأنا دائمًا اقترح بنشر ألف كتاب إسلامي يمثل وسطية الإسلام ونترجمها للغات المختلفة وهذا مطلوب، ولكن ترتيب البيت والتضامن الإسلامي والتضامن العربي وبعث الحياة في مؤسساتنا مثل الجامعة العربية والاتحاد الإفريقي وغيرهم. فعندما تقول أمريكا بأن لا يتعامل أحد مع حماس ولا يقبل وزير الخارجية المصرية بمقابلة وزير خارجيتهم فكأن "كوندليزا رايس" هي الكفيل للحكام والملوك العرب فإذا لم يتغير هذا الوضع سيظل الغرب على حاله.

وأقول أنه حتى رجال الفكر والعلماء عليهم واجب حتى في ظل البلاء الذي نعيشه من جانب التعريف بالإسلام وإبرازه وقد أعددت كتابًا بعنوان "الإسلام في عيون غربية" جئت فيه بشهادات غربية تفتري على الإسلام وجئت باثنين وثلاثين شهادة لاثنين وثلاثين من أعلام الثقافة الغربية تشهد للإسلام شهادات ندهش منها ونتعلم منها إذن لابد أن يشهد شاهد من أهلها فرجال الفكر لن يناموا إلى أن يستيقظ الحكام فعلى رجال الفكر مهمة في الموقف الغربي من الإسلام وعلى الحكام مهمة أخرى.

م. خالد محمد أحمد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقد سعدت جدًا بالنظرة العامة القيمة للحضارة الإسلامية بهذا الشكل ومن إجابة أستاذنا للسؤال الأول سوف أطرح سؤال وقد يتضمن جزء منه الإجابة التي أشار إليها أستاذنا. بما أن الإسلام ظهرت نتائجه في دولة ودين لا يطبق إلا في جماعة وهذه الجماعة بعد أربعين عامًا بدأ العصر الذي تجلى فيه المنهج الواضح للفكرة العلمية والمنهج العلمي المكون من التجربة والمشاهدة والاستنتاج التي تقوم عليه الحضارات المادية فقط الآن مع استخدامهم وبحثهم الدقيق في الوحي وهاتان الركيزتان قامتا في الحضارة الإسلامية استمرار هذا العمل عبر التاريخ في خلال ١٤٠٠ سنة حدث فيها صعود وهبوط بواسطة رجالاته الذين يحملون هذه الأمانة فاليوم من الواضح أن هناك صحوة بين الجماعة الإسلامية ولكننا نريد منظومة عملية تجعل المسلمين يعرفون أن هذا هو الطريق الذي من الممكن أن يحيي هذا العملاق أو هذا المشروع الحضاري الكبير أولاً فينا لأنه من الممكن أن أضع خطة ولا ألقى رجال لتطبيقها مثلما أعد سيدنا رسول الله في البداية المهاجرين الذين هم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانوا أقل من مائة رجل والذي بدأ بهم الدولة ثم وجد المكان فأنا الآن أقول هل هناك فكرة عامة يراها أستاذنا لوضع هذه الأسس لمشروع نهضوي؟ فنحن لدينا العلم والمفاهيم ولكن ينقصنا أن نوضع في منظومة. وشكرًا.

أ.د. محمد عمارة/

نحن نتحدث منذ سنوات عن المشروع الحضاري أو معالم المشروع الحضاري وكان لي محاولة من خلال كتاب طُبع في المعهد حول "معالم المنهج الإسلامي" وأنا أرى أن التاريخ الإسلامي تعرض لنوعٍ من التراجع الحضاري بسبب الغزو الخارجي فالصليبين مائتي سنة، والتتار، فالحضارة والمسلمون عندما تهدد وجودهم سلموا القيادة للعسكر والمماليك وجاءت الدولة العثمانية بعد ذلك وأصبحت دولة عسكرية أيضًا فأصبح الحكم للقوة والعضلات وليس للعقل وهذا تسبب في قرون طويلة تخلف فيها العالم الإسلامي بسبب الحكم العسكري من المماليك وجاء بعدهم العثمانيين ثم جاءت نهضة في أوائل القرن التاسع عشر الشيخ حسن العطار، ورفاعة الطهطاوي، الأفغاني، محمد عبده، والكواكبي، ورشيد رضا وغيرهم من العلماء الذين سُموا بمدرسة الإحياء والتجديد وأنا أرى أننا بحاجة إلى قراءة فكر هذه المدرسة فهذه المدرسة لم تكن مجرد جلسات كلامية وإنما كان لديهم مشروع نهضة أمة ولذلك أرى أنه لكي يكون لدينا تصور لمعالم مشروع حضاري فلن نبدأ من الصفر فأحياناً نبذل جهداً كبيراً ثم نكتشف أن ما وصلنا إليه وصل إليه آخرون قبلنا ونحن من عيوبنا أننا لا نحيي ذاكرة الأمة، وكل شخص يبدأ من الصفر، ولذلك أنا أرى أننا نضع مشروع يقوم بتجميع الأعمال الكاملة لأعلام الفكر الإسلامي من القرن التاسع عشر والقرن العشرين من الممكن عن طريق ذلك بلورة معالم مشروع حضاري نهضوي عند هذه الأمة... هذين القرنين، وقد كانت لي تجربة في الأعمال الكاملة عندما أعددت للطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده والكواكبي... الخ أحسست كيف أننا ننعش ذاكرة الأمة بأشياء كثيرة من الممكن أن يتم بلورتها لو أن لدينا مؤسسة تقوم على استخراج معالم المشروع الحضاري فعندما نقرأ للشيخ الغزالي نجد أنه مشروع حضاري وكثير من علمائنا ولكننا نرى الموضوع بصورة جزئية فلا نرى الصورة الكاملة لما نسميه بالمشروع الحضاري، ونحن بحاجة إلى علوم التقنيات والعلوم العملية، ولكن أخطر شيء هي العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية والعلوم الشرعية وهي ما تحتاج إلى إحداث تغيير في العقلية الإسلامية فنحن لدينا الكثير من الزاد ولكننا بحاجة إلى تنظيم هذا الزاد فنحن لسنا فقراء في الفكر وإنما نحن فقراء في المؤسسات التي تقوم ببلورة الفكر وتجعله فعال وأنا دائمًا أشبه حالتنا بأن كل منا يعمل بزراعة مثل العمال الزراعيين ولا توجد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤسسة، مثل الصنبور الذي ينزل منه الماء نقطة تلو الأخرى، ولكن إذا تجمعنا في مؤسسة فسنصبح مثل خرطوم الماء الذي يدفع المياه دفعاً قوياً، وعلمائنا قديمًا في علم الكلام كان لهم تشبيهات لطيفة تبين أننا نتحدث بكلام علميّ فيقولون: إن الفتلة وحدها لا يمكنها أن تشد السفينة ولكن إذا جمعت مجموعة من الفتل مع بعضها يتكون لدينا سلب يمكننا من خلاله سحب السفينة أو إذا كنت عطشان وأخذت من الكوب نقطة تلو الأخرى لا ترتوي ولكن إن شربت بشكل متواصل يحدث الارتواء ففكرة المؤسسة وفكرة الاجتماع وهي من الثغرات الخطيرة الموجودة في حياتنا اليوم أن لدينا خير كثير ولكن كل شخص يعمل بمفرده وأنا أرى أن هذا جزء من آثار الاستبداد فالاستبداد لا يحتاج إلى عمل أشخاص مع بعضهم.

أ.د. جمال - كلية التربية - جامعة الأزهر/

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين. أستاذنا جزاك الله خير الجزاء فالإنسان يشعر بالأمل طالما في الأمة أمثال أستاذنا ونسأل الله –سبحانه وتعالى- أن يبارك لكم ويطيل عمركم حتى تكملوا مشروعكم إن شاء الله.

بالنسبة للبعد الحضاري في السنة النبوية فقد استوقفتني عبارة قالها أستاذنا وهي أن النظام السياسي في تاريخ الأمة الإسلامية كانت له انعكاسات إما سلبية أو إيجابية على حضارة الأمة سواء كان العلم الفقهي وعلم الكلام والعلم الشرعي أو سواء كان العلم الذي يتناول الجانب السياسي في حياة الأمة الإسلامية أي أنه من خلال الصراعات التي كانت موجودة بين الدولة الأموية والدولة العباسية كان لا يستطيع أحد أن يقترب مما تتناوله الآن إلا على استحياء. فالسؤال هنا هذه الانعكاسات نجدها في كثير من جوانب الفقه الإسلامي وخاصة في الجوانب التي تتعرض لقضايا المرأة المسلمة وبعض الأمور الفقهية كحد الردة الذي قرأنا بعض الكتابات عنه أنه أُلف في أوائل قيام الدولة العباسية لأغراض سياسية وكثير من الاجتهادات، ولذلك فإننا نسمع صيحات تقول بأننا لا يجوز أن نُقدس ما كتبه السلف ويجب علينا أن نراجعه وننقحه لأنه كُتب في عصره مصبوغًا بصبغة تاريخية وسياسية فهل هذه الدعوات التي تدعو إلى ذلك هل هي دعوات صحيحة وتحمل النية الصحيحة والصريحة لخدمة الإسلام والمسلمين؟ ونحن قرأنا لأستاذنا الشيخ محمد الغزالي -رحمة الله عليه- في اجتهاداته حول بعض الأحاديث النبوية وقرأنا لبعض الذين كتبوا مثل الدكتور أحمد صبحي منصور الذي له بعض علامات الاستفهام كتب عن حد الردة دراسة أصولية وغيره الكثير وإن كان الله أعلم بالنيات ولكن هل نحن فعلاً بحاجة إلى تنقيح هذا التراث الفقهي والتراث الفكري الحضاري الموجود في سنة النبي **r** وسيرة النبي **r**؟.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ.د. محمد عمارة/

نحن لدينا نوعان من التراث: القرآن والسنة وهو مقدس وبالتالي لا يمكن مراجعته ونحن نقول القرآن وصحيح السنة وبعض الناس يتحرج إلى تسميته بالتراث ولكننا لدينا في القرآن ﴿أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ فاستخدم القرآن مصطلح الميراث والتراث بالنسبة للقرآن. أما الفكر الإسلامي فهو اجتهادات المسلمين في إطار الإسلام وفي فهم الإسلام فعندما أقول الإسلام والفنون الجميلة أو الإسلام والسياسة فهذا قولي وفهمي للإسلام إذن الإسلام وضْع إلهي ثابت مقدس معصوم بينما فكر المسلمين ليس معصومًا ولكن هل معنى ذلك أن نترك هذا الفكر وهذا التراث؟ لا. لأن هناك أشخاص يريدون وضع فقه جديد فهناك شخص يُدعى "جمال البنا" يريد وضع فقه جديد وقد أقمت حوارًا معه على قناة أوربت لمدة ساعتين فسألته أنت تقول إننا ليس لدينا مجتهدين ومجددين فعندما نلغي ما لدينا ولا يوجد لدينا من يضع البديل من أين سنأتي بالفقه؟ ولكن هناك تجديد فهناك فرق بين إلغاء ما لدي وبين التجديد لأن الفقه والفكر يتناول الفروع وفهم الإنسان واجتهاداته وعقل الإنسان نسبيّ الإدراك وغير معصوم. إذن لابد من التمييز بين القرآن وصحيح السنة الذي هو مقدس وملزم، وبين الفكر استقي منه ما احتاج إليه لكن عندما يكون لدي اجتهادات أرى أن لها ظروف وواقع. فلماذا يتغير الفقه ويتطور؟ لأن القضايا المستجدة تحتاج إلى الاجتهاد فيها بفقه جديد فبالتالي الفروع، والاجتهادات، والفكر، والتراث بالمعنى البشري هذا ليس مُقدسًا وليس مُلزِمًا ولكن هذا لا يعني أن نهدره فأنا أسمع أحيانًا بعض الناس -ليس لهم فقه أو علم حقيقيّ- يتحدثون عن الفقه الإسلامي باستهانة شديدة وعندما أقرأ لشخص مثل السنهوري باشا -أبو القانون المدني- وما كتبه عن الفقه الإسلامي شيء يجعل الإنسان يعتز بهذا الفقه فأهل الصنعة يقدرون تراثنا دون تقديس فهناك فرق بين تقدير التراث وبين تقديس التراث بأن نستفيد من التراث ولدينا كنوز من التراث وحضارة استفادت الدنيا كلها منه وقد بُنيت الحضارة الأوربية على أساس هذا التراث ولذلك هناك فرق بين أن نقدر تراثنا وبين أن نقدس هذا التراث.

بالنسبة لموضوع الردة فقد حدث جدل كبير فيه وهناك اجتهادات كثيرة وقد كتبت في هذا كثيرًا فلا يوجد حد للردة في القرآن الكريم والحد الذي أقامه رسول الله **r** كان على جريمة حرابة -جريمة مركبة- على أشخاص قاموا بسرقة إبل وقتلوا الغلمان ومثلوا بهم وكفروا، وإنما لو شخص بينه وبين نفسه ألحد أو شك وأشرك فالعلماء يعتبرون أن الإلحاد والردة مرض يعتل العقل مثل الجراثيم مرض يعتل الجسم فعندما تعتل الجراثيم الجسم لا يقتل الشخص المصاب بها وإنما ننصحه بالذهاب للطبيب، فإذا جاء لشخص شكوك في الدين ننصحه بالذهاب للعلماء مثلما الطب المادي يُعالج الجراثيم المادية والأمراض العضوية العلم يُعالج الجراثيم والأمراض العقلية والفكرية وهناك علماء قالوا بأن يتم استتابته ثلاثة أيام،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلماء آخرين قالوا نستتيبه أكثر من شهر، وعلماء آخرين قالوا نستتيبه أبدًا أي نحاوره حتى يمت وإذا لم يقتنع -وهذا موجود لدى أهل السنة- فإذا شك شخص في إيمانه ننصحه بمناقشة العلماء وقراءة الكتب فإذا ظل طول حياته لم يقصر وبذل كل ما يستطيع فلم يقتنع أهل السنة يقولون هو من الناجين فما الذي يستطيع فعله ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ فقد بذل كل جهده فلم يقتنع وإذا هددته بالقتل سيتحول إلى منافق والإيمان تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين ولا يتأتى بدون اقتناع وإنما قتل الناس وتخويفهم يوجد النفاق والنفاق أشد من الشرك والكفر.

ودائمًا أقول أن آية ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ليست فقط نهي عن الإكراه في الدين وإنما نفي لإمكانية أن يكون هناك دين مع الإكراه فالإكراه يثمر نفاق، وهناك الكثير ممن كتبوا في حد الردة ومنهم الدكتور طه جابر العلواني، وكتابي "الغزو الفكري: وهم أم حقيقة" كتبت في هذا ومن أواخر ما كتبت دراسة عن "حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" تحدثت فيها عن الجزية.

وبالنسبة لموضوع حقوق غير المسلمين وأنا لدي سؤال حول موضوع الإسكندرية والبابا شنودة يريد أن ينشئ حزب ويخرج المسلمين من مصر ولذلك لم تحدث حوادث عنف وفتنة طائفية في مصر إلا عندما جاء البابا شنودة فهو جاء عام ١٩٧١م وبدأت الحوادث منذ ١٩٧٢م وقد قلت هذا الكلام أمس في قناة BBC وأول أمس في الفضائية فما يحدث اليوم رد فعل للهيمنة الغربية ومحاولة الغرب لتفكيك المصري فهم يعملون على البهائيين والأقباط والنوبيين وعلى شهود يهوا وعلى الشيعة خمس فرق يريدون تفكيك المجتمع المصري بهم هذا هو السبب الذي يحدث تفجرات في المجتمع.

بالنسبة للموقف من غير المسلمين فأنصح بقراءة كتاب لي بعنوان "الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل" به رأي الإسلام فيما يتعلق بموضوع الأقليات في مكتبة الشروق، وقد نشرت عهد رسول الله r لنصارى نجران في كتاب بعنوان "الإسلام والآخر"، ولي كتاب ثالث "في المسألة القبطية: حقائق وأوهام" أناقش ما يقال من قبل الأقباط بخصوص الحقوق والكنائس وكل هذه الكتب تجدونها في مكتبة الشروق، والكتاب الأخير "حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب" وبه حديث عن الجزية وعن الردة وكل هذه المسائل، وشيخنا الغزالي قد كتب في هذا الموضوع والشيخ يوسف القرضاوي والعديد من العلماء كتبوا. وقد وثقت الموضوع بمقولات للشيخ سيد سابق.

وبالنسبة لموضوع التنصير فهي حرب تشن على المسلمين –حرب حقيقية- ليس مجرد أن شخص يغير عقيدته فهو حر إنما ما نواجهه اليوم هو حرب معلنة على الإسلام والمسلمين وما يفعله زكريا بطرس على قناة الحياة حرب بتمويل من "شنودة" ومن الغرب وهناك كتاب صدر من يومين ردًا على زكريا بطرس وقد وضعت المقدمة الخاصة به وقد صدر في مكتبة النافذة بعنوان "الرد على افتراءات وأكاذيب زكريا بطرس: أجوبة على أسئلة...." فهو رجل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصري يعيش في كندا وقد أُخرِج لنا من تحت الأرض وأنا لا أعرفه ولكنه تناول الحلقات الخاصة بزكريا بطرس حلقة حلقة وكلمة كلمة بعلمٍ غزير وأدبٍ جم وصبرٍ شديد ورد عليه. كل ما أريد أن أقوله أننا لا نتركهم في كل هذه الأمور والسؤال هنا لماذا هم يستخدمون قوتهم؟ لأن الدولة ضعيفة وأمريكا قوية. ولكن هل كان يتصور أحد أن يأتي البابا شنودة ليقول أنه فوق القانون وقد ذكرت ذلك في قناة BBC فالأولاد في الكنيسة يهتفون بأن يحميهم شارون ولم ينهاهم أحد عن ذلك، وعدلي أبادير يخرج على الفضائيات بأنه سينشئ دارفور جديدة في مصر ولم ينهاه أحد، وبإذن الله المقاومة العراقية ستأتي بأنف أمريكا في التراب وستكون فاتحة لتحسن الأوضاع.

أ.د. رفعت العوضي/

بارك الله في أستاذنا الكبير، وقد أشرت إلى رفاعة الطهطاوي وغيره، ونحن لدينا في هذا المعهد مشروع طرق النهوض بالأمة ونتتبع من خلال هذا المشروع جميع هذه المدارس والأشخاص الذين حاولوا أن يقدموا شيء لهذه الأمة لنتعرف على ماذا فعلوا وما الذي يمكن أن نواصل المسيرة معه؟.

فيما يتعلق بالنقطة الأخيرة التي أشار لها أستاذنا أحب أن أشير إلى أنه لن تكون حادثة الإسكندرية آخر الحوادث وفي الفكر العالمي الآن مصطلح جديد اسمه "الدول المنتظرة" وهذا يعني أن أمريكا أعدت قائمة بالدول الإسلامية كلها بحيث أنها تحدد موقفها وما يجب فعله تجاه كل دولة والمشكلة أن هذا المصطلح موجود في الأدبيات السياسية العالمية ولا نظن أن ينتهي الأمر عندنا أو عند السودان وإنما يشمل كل الدول الإسلامية ولا نظن أنه مثلما أرسل جيش للعراق سيرسل جيش مماثل لمصر. وإنما سيكون له وسيلة أخرى للتعامل مع مصر فهذه العبارة دائمًا ما أكررها لتحذير هذه الأمة، فأمريكا وضعت دور لكل دولة ولكننا لا نعرف متى يأتي دور كل دولة وكيف؟، وهذه قضية لابد أن تكون معروفة وإذا لم نعرف هذا سنفاجئ بكل ما نراه حولنا سواء في مصر أو خارج مصر.

أ.د. محمد عمارة/

يسأل شخص عن نظرية ساعي البريد. فمن يطلقون على أنفسهم بالقرآنيين وأنهم ينكروا السنة النبوية نحن نعرف أن آفة كل شيء في الدنيا الغيوم فهناك أناس يأخذون كل ما في الكتب على أنه سنة –مثلما ذكرت سابقًا عن السنة التشريعية وغير التشريعية، وهناك من يريد إهدار السنة ونحن لا نريد ذلك، ولكننا نقول إن الله أوحى لنا بالقرآن والسنة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني ولا يمكن أن يكون البيان مختلف عن القرآن والشرح لا يمكن أن يكون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مختلف عن المتن وبالتالي من يهدر السنة النبوية مثلما قال الشيخ الغزالي –رحمه الله- أن الناس تتصور أن الرُسل سعاة بريد وأنهم يقومون بتوصيل الوحي فقط فهذا ليس صحيحًا وفيه امتهان لصور النبوات والرسالات. ولذلك لا يمكن أن تكون السنة حاكمة على القرآن. بالنسبة لموضوع النسخ فهو موضوع يحتاج إلى أن يعاد النظر فيه ولكنه موضوع آخر. وما أريد أن أقوله أن السنة النبوية ركيزة أساسية في الدين الإسلامي والفقه الإسلامي والثقافة الإسلامية بشرط أن يتم تحقيق السنة النبوية بمعنى أن لا يتم الاكتفاء بالرواية فلابد من الدراية وسأضرب مثلاً لإعمال العقل: في محاضرة من المحاضرات أثرت قضية أن كل الناس تروي أنه عندما توفي رسول الله r وقالوا أن محمد ذهب إلى الرفيق الأعلى فسيدنا عمر أشهر سيفه وقال أن من سيقول أن محمدًا قد مات سأقطع رقبته فهو ذهب إلى موسى وسيعود ثانيةً؛ فمن الذي يملك العقل ويصدق أن هذا الكلام يصدر من سيدنا عمر لماذا؟ فسيدنا عمر كان الوزير الثاني وكان ملازمًا لسيدنا رسول الله r مع أبو بكر وعايش رسول الله على فراش المرض لحظة بلحظة ولدينا في المرويات يقولون أن الرسول عندما غلبه الوجع فطلب ورقة حتى يكتب كتابًا فسيدنا عمر قال: إن رسول الله قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله.. إذن عمر عايش مرض رسول الله إلى أن كان قريبًا من النزع الأخير هل من الممكن لمثل عمر أن يصدم ويفاجئ بموت رسول الله فيشهر سيفه؟ فهذا كلام دُلس على عمر ويبين سيدنا عمر أنه لم يقرأ في القرآن ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾!، فعندما أعمل العقل أثناء قراءة هذه المرويات بصرف النظر عن راويها فالإمام أحمد بن حنبل وهو إمام أهل السلف كان يقول على أحد الرواة: كذاب يأتي بالمتون الواهية فينسبها للرواة العدول. فأنا من الممكن أكذب على الشيخ الغزالي وأنسب له ما لم يقله فأنت تصدق لثقتك في الشيخ الغزالي، إذن هناك من يأتي بأحاديث ضعيفة أو موضوعة وينسبها للرواة وهذا ما قاله أحمد بن حنبل إمام أهل السلف وأهل السنة إذن لا نكتفي في الحديث بالرواية، وعلماء الحديث ذكروا ذلك فهناك رواية وهناك دراية أي إعمال العقل في المتن وهذا ليس مهمة جمهور الناس وإنما هو مهمة العلماء إذن من يهدر السنة النبوية جاهل أو مغرض، ومن يأخذ كل المرويات دون أن تعرض على الدراية ودون أن ننظر ما إذا كان هناك مخالفة للقرآن أم لا فهذا غير جائز.

إذن التوسط وترك الغلو هو ما يجعلنا نُنقي السنة والشيخ الغزالي عندما وضع كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" وهوجم فكان الشيخ الغزالي يقول إن لدي كومة من القمح بها بعض الحصوات فإذا أخرجت هذه الحصوات فلن تضر بكومة القمح. ونحن لدينا في العلم والفقه الإسلامي حلول لهذه المسائل فنجد الفقهاء الأربعة نجد حديث أخذ به أحدهم ولم يأخذ به الآخر فنجد أن مالك قام بالتدقيق وأخرج الموطأ، والبخاري كان لديه ستمائة ألف حديث دقق فيهم إلى أن أخرج ثلاثة آلاف، الإمام أحمد جمع حوالي تسعة وعشرين ألفًا. إذن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جمهور العلماء تفاوتوا في قبول أو في رفض الأحاديث؛ فحجية السنة النبوية لاشك فيها إنما أن يقوم العلماء بالاجتهاد والفرز والمقارنة شيء مطلوب، ولكن إهدار السنة جهل، والقبول بكل المرويات على علاتها دون تفريق بين الصحيح وغير الصحيح نوع من الجهل.

أ.د. رفعت العوضي/

لدينا سؤالين أحدهما عن السنة والآخر عن الأقليات وقد أشار أستاذنا إلى هذين الموضوعين. وهناك سؤال مكتوب للدكتور عمارة عن أن انتقال المعلومة من مكان إلى آخر يؤدي إلى الحصول على شهادات وهذا موجود في نظام التعليم لدينا وحديث سيادتكم عن المؤسسات وبنائها على العلم يدفعنا إلى السؤال عن فهم الناس لفكرة نقل المعلومة من شخص كبير إلى شخص أصغر منه يستطيع به أن ينتقل إلى المرحلة التالية وبالتالي تقوم المؤسسة ويقوم الترتيب. من وجهة نظر سيادتكم كيف تنتقل المعلومة من كتاب إلى امتحان كما هو مطروح في جميع مراحلنا التعليمية كيف ترى أن نجعل قيمة الإنسان في استخدامه للمعلومة وليس كم المعلومات الموجودة لديه والتي تكون لدينا آفة احتكار المعلومات؟.

أ.د. محمد عمارة/

هذه نقطة من النقاط التي لها علاقة بموضوع المحاضرة أحد قديسي النصرانية يدعى "أنسل" واستعان بكلامه الإمام محمد عبده في كتابه "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية" حيث يقول: "عليك أن تؤمن بما يلقى إلى قلبك دون إعمال عقل، فإن الإيمان لا يحتاج إلى إعمال عقل" أما نحن في الإسلام عرفنا الله بالعقل قبل القرآن أو النبوة من خلال التأمل في المصنوع لنعرف الصانع، وطالما الصانع راعٍ لخلقه ولطيف بهم إذن لابد أن يرسل لهم كتاب ورسول أي أنه قبل الإيمان بالنبوة والإيمان بالكتاب لابد أن نؤمن بالله عن طريق العقل إذن مقام العقل في الإسلام مقام كبير -وهناك فرق ما بين العقل وما بين الهوى حيث إن هناك تيار إسلامي متحجر لا يميز بين العقل وبين الهوى- نحن لدينا في العلم الإسلامي ما يسمى بالشك المنهجي والمفسرين يتحدثون عن سيدنا إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فهذا منهج في التفكير ولذلك أصبح في التراث الإسلامي ما يسمى بالشك المنهجي وهناك فرق بين الشك المنهجي والشك العبثي فالشك العبثي هو أن تشك في كل شيء أما الشك المنهجي في الأمور التي من المفروض أن تشك فيها فالجاحظ له كلام نفيس وقد نشرته يقول: "فتعلم الشك في المشكوك فيه تعلُما فإنه لم يكن يقينٌ إلا وقد سبقه شك" فعندما تفكر تضع فروض وتختبرها فتشك أولاً ثم تجرب وتتعقل وتصل إلى اليقين علمائنا قالوا ما هو أول واجب على الإنسان: قالوا: النظر والتفكر والتدبر فالإسلام له منهج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في التعلم وليس أخذ المعلومة فقط وإنما إعمال العقل فكما قلنا أنه مثلما هناك رواية هناك دراية ولذلك في التعليم أو نقل المعلومات لابد أن يكون هناك تعديل لأشياء كثيرة لعل ذلك يكون قريب مما سألت عنه.

أ.د. رفعت العوضي/

نسأل الله تعالى أن يجزيكم خير الجزاء ونسعد أن نختم موسمنا الثقافي عن سيدنا رسول الله **r** بهذه المحاضرة وأنا أشهدكم أن الموسم القادم سيكون حول القرآن ونحن نعتذر لأنه كان من المفترض أن نبدأ بالقرآن ثم السنة ولكن هناك ظروف حالت دون ذلك ومن المتوقع أن تكون المحاضرة الأولى في الموسم القادم للأستاذ الدكتور علي جمعة -مفتي الجمهورية- وهو وافق مبدئيًا ونحاول الترتيب معه وستكون المحاضرة الأولى في شهر أكتوبر وشكرًا كثيرًا لأستاذنا. وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيك خير الجزاء وأن يجعلك ذخرًا لأمتك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com